من التراث العربي المعاصر

سمو الانسانية

خليل الهنداوي

لا تزال علة الآثمين الخارجين على حدود الشرائع علة مستحكمة ، لا يبت فيها فريق حتى يهب الى نقضها فريق . وكلا الفريقين له الحجة الساطعة ، فمن الشرائع ما يرى في الاثيم العدو للانسانية ، والمريض الذي يخشى انتقال جراثيمه الى غيره ، لأن الامراض النفسية حكم أكثرها كحكم الامراض السارية تعصف بالاجساد عصفا . وهذا المريض – في حكمها – لا يرجى شفاؤه ، وان فكرة الاجهاز عليه هي فكرة تتقي بها منه !

وقد تفننت الشرائع الحديثة في تعيين هؤلاء الآثمين والمجرمين وفي عزلهم عن طبقات الناس . ومن الشرائع ما تنظر الى هؤلاء بعطف ورحمة . لا تنظر الى الاثم – كالكل في الاثم – وانما تنظر الى الظروف التي صاحبته، والعوامل التي ساعدت على خلقه . وهي بعد هذا كله لا ترى في الآثم الا انسانا ، جبل على طينة الانسان ، يخطىء ويصيب ويفعل الشر ويصنع الخير . هذه الشرائع التي غلبت العاطفة الانسانية على كل عاطفة ، واستمسكت بالمبدأ الانساني الذي يعلو على مصطلحات الخير والشر . وهذه فكرة تطير بجناحين من السمو والعلو . ولكن علماء القانون لا يعتقدون بهذه الفكرة المجنحة لانها تظهر بغير حدود ، وتنتشر على أبعاد دونها أبعاد الفضاء . وهم يريدون أن يحددوا لكل موقف شأنه ، فاذا سرق السارق فما عسى يكون جزاؤه ؟ واذا زنى الزاني فما عسى يعامل به ؟

مثل هذه الفكرة الانسانية قد تجلت في موقف السيد المسيح حين قدموا له زانية ليرى فيها حكم الشريعة – وما

كان الشريعة الا الرجم ـ وما كان للمسيح أن يعطل هذا الحكم ، وهو لم يجيء لنقض نواميس الانبياء ، ولكنه تسامى في هذه المرة ما شاء له التسامي ، فأمر بأن يحفروا لها حفيرة ووقف قائلا :

ـ ليرمها كل من لم ترتكب نفسه خطيئة بحجر !

فوقف الجمع ولم يرموا ، وغادروا المرأة وشأنها ٠

ولكن هذه الفكرة تظل جميلة ما ظلت منطلقة حرة من غير قيود ، فاذا شئنا حصرها واخضاعها للعمل ضاع رونقها وفشت الشرور بحجة أن كل نفس فيها من طينة الشر شيء ولذلك لم يقدر المسيح نفسه على القول بالعفو عن كل زانية وزان ، وسارقة وسارق ، ولم يقدر غيره على القول بذلك ٠ ولكن المسيح أراد بضرب هذا المثل أن يحفظ للآثمين هذه الانسانية التي تربطهم بغير الآثمين ، ويقرر بعد ذلك أن هؤلاء الذين يحكمون على الآثمين هم ملوثون مثلهم ، حتى تكون العاطفة الانسانية عندهم هي العاطفة الغالبة على كل عاطفة ٠

نظرت الشريعة الاسلامية الى هؤلاء الآثمين كما نظر غيرها ، وفرضت القصاص وفي القصاص حياة ، وقام الشارع بأحكام ما تنزل ، ورأى أن دفع القتل أنفى للقتل ٠ وهذه الشريعة هي شريعة من جاء قبله ، وهي الشريعة التي يحض عليها العقل ويبعث اليها الانصاف ٠

ولكن الرسول ـ برغم لوثة هؤلاء الآثمين ـ قد ارتفع معهم في كثير من المواقف بعاطفة الانسانية فوق حدود الشريعة ، ونظر الى هؤلاء المرضى نظرة ملؤها الرأفة والاشفاق ، وعطف على كل نفس ضالة ـ لأن الهدى والضلال على بعدهما متقاربان متلاصقان ـ وان اهمال درس هذه العاطفة الانسانية عند الرسول مما يترك ناحية العواطف الاخرى قاسية صارمة ٠ وان على أرباب الفقه أن يرتبوا العقود والحدود كما رتبوها أبوابا أبوابا ، وان على آخرين أن يحللوا هذه العاطفة التي تجعل من الرسول قلبا نقيا وعاطفة انسانية متسامحة ٠

ما عسى تبلغ اليه هذه العاطفة الانسانية في صدر الرسول ؟

أذكر عبارة تلوتها فيما كتب « رينان » عن المسيح « ان المسيح هو أول من سلك في تفهم الله مسلكا جديدا ، اذ جعل علاقة الله مع الناس كعلاقة الاب مع أبنائه ، علاقة كلها رأفة ومحبة وحنان » وبهذه الرحمة الشاملة تفهم الرسول معنى الالوهية فقال : « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الارض جزءا واحدا ٠ فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ! » ٠

واني لأجد الرسول في الصلاة ، ومن ورائه أعرابي يدعو في صلاته : « اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا » ٠ فقال له الرسول : « لقد حجرت واسعا » وكأنه أراد أن يقول له : « قل اللهم ارحمني وارحم جميع الكائنات ، لأن رحمة الله أوسع من جميع آثامهم وذنوبهم » ٠

واني لأراه وهو يفكر في هذه الرحمة التي يرجو أن تشمله ، وهي الرحمة التي ملكت عليه مشاعره ٠ أراه « وقد وجد امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي ، اذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فالتفت الى أصحابه وقال :

« ـ أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟

فقالوا : لا ٠٠ وهي تقدر على ألا تطرحه ؟

فقال : ـ وقد طغت على قلبه هذه الرحمة الشاملة :

ـ الله أرحم بعباده من هذه بولدها » ٠

ولقد تتمثل هذه الرحمة في كل جزء فيه ، حتى ليحسب أن الكائنات كلها قد اندمجت وأحاطت بها رحمة الله ٠٠٠ « فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة » وهو لا يفسر الرحمة تفسيرا ضيقا

يمنحها أناسا ويحرمها على أناس لأن الرحمة الشاملة اذا دخلت في قلب غيرت فيه كل الاساليب الموروثة في تفهم الوجود ، وجعلته ينظر الى الوجود كشيء كلي ممتزج فقير الى هذا البلسم ! وجردته من كل الاهواء ليتحد مع الكائنات اتحادا ثانيا بكل شيء فيه ، لا يهدأ قلبه ما دام يتعذب هنالك انسان ! وهو لا يفسر الرحمة تفسيرا رمزيا ، وانما يرمي بمختلف الامثلة الى تمثيل هذه الرحمة تمثيلا واضحا تكاد تتبينه العين وتتقراه اليد باللمس ! وقد أثر هذا الفهم في نفسه تأثيرا واضحا ، فهو تنهمل عيناه اشفاقا على قومه ، وهو يتحمل بلاءهم بقلب صابر ولسان شاكر ويقول : « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » • وهو يستمهل الله فيهم عندما نودي « ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك » • فقال: « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا » •

وقد ملك عليه شعور الرحمة حتى كاد يغلب على كل عاطفة فيه • « يروى الرجل الاسرائيلي الذي قتل تسعة وتسعين رجلا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال له : « هل من توبة ؟ » فقال : « لا •• » فقتله ، فجعل يسأل ، فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا ، فأدركه الموت ، فناء بصدره نحوها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأوحى الله الى هذه أن تقربي ، وأوحى الى هذه أن تباعدي • وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجده الى هذه أقرب بشبر فغفر له » • وهل غفرت لهذا القاتل اثمه الا عاطفة الرسول الانسانية التي قدرت فيه قلبه النادم ونيته الساعية وراء التوبة ؟ وقلب الرسول مفعم رحمة وشفقة على هؤلاء — مع قوله في معاقبتهم — ولا يستطيع الفكر أن يوفق بين الاثم الكبير البالغ تمحوه حسنة صغيرة ! فمن ذلك « امرأة مومس مرت بكلب على رأس ركي يلهث قد كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها ، فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك ! » ذلك أن قلب الرسول يحاول أن ينقذ هذه الكائنة الشقية ، ويلقي في النفس معنى الاحسان الى الحيوان « وان لفي كل كبد رطبة أجرا » •

وقد تسمو نفس الرسول في النظر الى هؤلاء الآثمين، فهو لا يفر منهم ولا يزور عنهم لأنه يطمع في صلاحهم •

« قال رجل : لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : « تصدق على سارق ! » فقال : « اللهم لك الحمد ! » لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية ، فأصبحوا يتحدثون : « تصدق على زانية ! » فقال : « اللهم لك الحمد ؟ » على زانية ! لأتصدقن بصدقة ، فخرج فوضعها في يد غني ، فأصبحوا يتحدثون : « تصدق على غني ! » فقال : « اللهم لك الحمد ! » على سارق وعلى زانية وعلى غني » ولقد يظن المرء لأول وهلة أن هذه الصدقات باطلة لانها لم تقع في مواضعها ، ولكن الرسول حلها من الناحية الانسانية، فأتي فقيل له : « أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته ، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها ، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله » • فلم يمنع الرسول الرفق بهؤلاء الآثمين ، ولم يجعل التصدق عليهم حراما ، واذا كان السيد المسيح أطلق الزانية لانه لم يجد من يأخذ على نفسه معاقبتها فالرسول أطلقها وأطلق السارق وأطلق الصدقة عليهما ليستعفا •• وبهذا أشفق على المريض وحارب جراثيم مرضه، وهو خلال ذلك ينتظر أن يغمرهم نور التوبة ويصرفهم عما فيه وازع الضمير •

وقد يعجب المرء من هذه العاطفة التي لو أخذنا بها لعطلت الحدود • اذ كيف نتصدق على سارق أوجب الشرع قطع يده ، أو على زانية أوجب رجمها ؟ ذلك أن الرسول يدرك أن الغاية من الشريعة الهدى والرحمة ، وأن القصاص سبيل يسلكه الشارع اذا عز الوصول الى الهدى الا به •

فهو بهذا دل على انسانية سامية تفهم الوجود رحمة ومحبة ، وان روحه لتتصل بالمذنب اتصالها بالبريء ، وأنه يحب الناس مهما فعلوا ، وأنه يجد في نفسه ميلا الى الرفق بالآثمين ، وهذا الميل جعله يسلك السبل المتعددة ليدفع عنهم آثامهم ويطهرهم من أرجاسهم • ونرى بعد هذا كله — هذه الكتلة من الرحمة والمحبة تقف أمام الرحمة الشاملة تدعو ربها :

« اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب •

اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس •

اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد » •

أليست هذه الانسانية بأسرها تتمثل في شخص الرسول تطلب الى الله أن يشملها برحمته ، ويغسل خطاياها برأفته حيث تغسل الاوزار وتضيع حدود العقاب في عالم تعمره الرحمة وتسكنه المحبة ، لا نهايات له ولا حدود ؟

شاعر وثماني قصائد وطنية

د. محمد التونجي

كانت السيارة تتلوى بنا نشوى في طريق الغوطة ، وأفنان الاشجار تتطاوع مع هز هزات نسائم الربيع ، وتميس ذات اليمين وذات الشمال ·· نزلت أتجول في تلك الرياض مع ثلة من الاصحاب · غير أننا سرعان ما نسينا أننا نسير في أحضان الجنائن ، وما أنسانا الا ·· شاعر·

كانت أبياته تلقى على مسامعنا ، وموجات نبراته تعلو وتهبط ، تبعا لتموجات عجلات السيارة الطروب ·

ذلك اللقاء ، كان أول لقاء لي مع الشاعر الذي أحببته ، وتتبعت قصائده الثمانية · وأذكر يومئذ أنه جذبني الى معرفة شعره عندما عرّفني بنفسه ، في هذين البيتين :

قالت لي الشقراء : يا أسمر
الى متى شعرك لا ينشر ؟
قد عتب الشعر على أهله
واستبطأت فارسها عبقر !

عند ذلك علمت أنني حيال شاعر كتوم ذي أصالة ، فاستزدته ، فزادني طربا ، وأضفى على حركاتنا لعبا · واستفضته فأفاض ·· وتعمقت نظرتي نحوه ·· ومن عادتي أن أحب الشاعر الكريم المعطاء ، كما كانوا يحبون الامير الجواد · وسألته عن نماذج من شعره ، أتعمق فيها ، فلم يمتنع ·

هذا الشاعر أيها الاخوان ، شاعر مجلة الفرسان ، وأحد المسؤولين على القسم الادبي فيها ·· ذلكم هو « أسعد حبيب يوسف » · لا تعجبوا اذا قلت لكي انني لا أعرف الكثير عن نشأته وعن حياته، فقد غمرتنا الجلسات المتوالية بأحاديث الاشعار والسمار ·· ولكن هذا القليل الى جانب هذه العصارة الغنية المبثوثة في ثماني قصائد ، تكفي لالقاء ضوء خافت (على الاقل) على شاعريته ·

حياته وريفه :

والشاعر أسعد حبيب أحد الشباب الطموحين الذين تركوا ريفهم الاخضر ، وحلوا زحمة المدينة ، متحملين أوضارها ·· في سبيل سقي طموحهم ، والدنو من ساحة المعركة · ولكن من دون أن ينسوا مرابعهم :

أتيت يا شام يحدوني اليك هوى
وبي الى الريف شوق ظل يعصف بي

ترك ريفه الاخضر ، وقد تلاحمت عليه الاسباب ·· هذه الاسباب من جملة ما دفعه الى الرحيل عنه · فقد أحالته الاسباب الى جذب أصفر ، يمتص الماء الشحيح ·

تركت ضاحيتي تجتر عزلتها
وتستدر مياه الشرب بالقرب
جفت على شظف البؤسى فما سقيت
الا من العرق المجبول بالتعب

مسألة الاصالة والواقعية :

ان الحرب التي يشنها شعراؤنا الشباب على أدبنا العريق علامة جهل منهم ، وفي ظني أنهم لو عرفوه لما حاربوه · ولو قرؤوه لاستنهلوه وتعمقوا فيه ، ولكنه الخوف من المجهول لا غير ·

ولهذا نراهم يهربون من تراثنا الى تراب الغرب ، ويدنسون أناملهم بثمالات الغرب · يهربون من ماضينا المشرق ، من شعرائنا الواضحين ، ليترنحوا في متاهات

الرموز المرموزة ، والغموض الغامض ، ناسين أو متناسين أنهم يقولون الشعر للناشئة ، للشباب ، لنبتات هذه الارض السخية الغالية ٠٠ فيوهمونهم أن الشعر الجيد هو الذي لا يفهم ، وأن البراعة تتمثل في الرمز العميق ، العميق جدا ٠

اذكر مرة أنني زرت أديبنا الكبير الدكتور حافظ الجمالي ٠ فبادرني بقوله : جئت في وقتك ٠ ولما سألته عن الامر ، قال : استعصى علي فهم القصيدة من الشعر الحديث ٠ أرجو أن تسمعها معي ، وتشرح لي المغزى الذي يطوف عليه الشاعر ٠ وانبرى يقرأ ، وانغمست في متاهة الاستماع ، لا أنا أفهم ، ولا أنا أجرؤ على البوح في مستوى معرفتي ٠ ولما انتهى من قراءته للقصيدة ، سألني الشرح ٠ فقلت ضاحكا : لا عيب فيّ غير أني لم أفهم والله كلمة ٠٠ حتى الخيط الذي يمكن شد المعنى به لم أستطع التقاطه ٠ فضحك وقال : فاذا كنت أنا العالم في علم النفس ولم أفهم ، وأنت الاديب ولم تتضح لك ، فبالله عليك ، لاية طبقة قال هذا الشاعر قصيدته ؟

نعود الى الموضوع الذي انطلقنا منه ، وهو الوضوح والواقعية ٠

أسعد حبيب لمس هذه العقدة في شعر شعرائنا الشباب ، وانبرى يحلها ليكون شاعرا واقعيا واضحا ، يفهمه القارىء من أول وهلة ، ويفهم شعره من القراءة الاولى ٠٠ تماما كأي شاعر من شعراء العرب القدماء ٠

وقد يجد المرء تكرارا في بعض المعاني ٠٠ بل أكثر من مرتين أحيانا ٠ وقد يكون هذا التكرار فقرا في المعاني ، كما قد يكون استعذبها الشاعر ، فأحب أن يستعيد على مسامعه وبصره متعة النص نفسه ٠

والشاعر المتمكن من تراث أمته تاريخا وأدبا هو الذي يقول معتزا ، وينهل مستلذا ٠ ومن قرأ شيئا من شعر هذا الشاعر يحس أنه أمام انسان أمضى مراحل سنيه الربيعية في المطالعة العريقة ، وفي حفظ الشعر الاصيل ٠ وأحسب أن لاصالة أسرته العلمية سببا في تأسيس هذه الجذور ٠ يقول :

أترعتها ليلة الغفران صافية
ورحت أزهو على التاريخ بالعرب
أولئك القوم آبائي فلا عجب
اذا ترنحت من كبر ومن عجب

وحديث الاصالة يجرنا الى البث الثقافي الذي يتفاعل مع المعاني ، وشاعر بلا ثقافة ، ولا تجاوب مع الماضي والحاضر ، كالطعام خالي الدسم ، تعافه النفس لانه يملأ البطن بلا فائدة ، ونخشى بالتالي من تزاحم الثقافة في القصيدة ، خشيتنا من زيادة الدسم في الطعام ٠ وقد تدافعت بعض الالماعات الثقافية في شعر أسعد ٠ ولكن أغلبها ذو طابع تاريخي ، أو منبثقة من بعض التعابير المأثورة كشوك القتاد ، وحديثه عن بلقيس ، والعنقاء ٠٠

ولا شك أن شاعرنا تشبع بأرواح الشعراء العرب الاصليين كأبي تمام والمتنبي ، وخاصة في المواقف الحماسية التي سنعرّف شاعرنا بها ، ومثل هذا التشبع يتطلب جني ثقافة تضفي عمقا على الاصالة الشعرية ٠ فهو عندما رأى انتصار جيوشنا في حرب عام ١٩٧٣ وقف يخاطب الرئيس الفريق بقصيدته « ملحمة تشرين » ، وكأنه المعتصم حيال عمورية المحترقة ، وكأنه أبو تمام في بائيته :

لولاك يا بطل الجولان ما هزجت
للنصر أمتنا في زحفها اللجب
لولاك ما كنس التاريخ في يده
وحل الهزيمة عن جلبابها الترب

الحماسة في الشعر العربي :

عجيب أن تنطوي نظرة نقادنا الى الشعر العربي القديم على أنه ثوب من المديح الزائف ، والغزل الندي أو الناشف ٠٠ ناسين القصائد الحماسية التي تعتز كل أمة بما لديها من هذا الرصيد ٠ وانني أنادي دائما بدراسة الحماسة في شعرنا فهو نبعنا ليومنا ولغدنا ٠

وأسعد وقف أحلى قصائده (في علمي) على الحماس والبطولات العربية ، أو على الاقل في مرحلتنا الراهنة ٠ فقد عرف أن الشعر لا ينفع اذا لم تكن النار تندلع :

تأبى جراح المعالي أن تضمدها
رفائد الشعر بالآهات والكرب
تأبى جراح المعالي أن يتوجها
الا الشموخ ، وحسب المجد من حسب

وهو يعتمد على التاريخ العربي كثيرا ، يغترف منه أبهى صوره ، وأشرق ما برز منها وأشرف ٠ ولا

يهمه أن تكون غرفاته مشرقية أو مغربية ·· حسبه أن يربط الماضي بالحاضر · وهو في « ذات الصواري » يتصفح فصول الانتصار البحري ، فيقول :

فوق الاثير لنا ذكر وآثار
وفي المحيط فتوحات وأخبار
أسطولنا عبر المجهول يحمله
اقدام فتيانه لا الوقد والنار

وهو عندما يعبر الموج لا ينسى أن يستخدم ثقافته التاريخية ، بل انه يتعمدها ايرادا برهانا على أن التاريخ يعيد نفسه :

هيضت سفائن قسطنطين مسعرة
ولاذ بالخيبة النكراء أنفار
وسيم ملك هرقل الروم كارثة
حطامها الذل والخذلان والعار

هذه الوقفة بالطبع هي معركة ذات الصواري التي انتصر فيها العرب في شواطىء شمال افريقية على هرقل الروم ، الذي ظن أنه يستطيع أن ينتصر على العرب، ويستعيد مصر من أيديهم ، وربطها أسعد بمعركة اليرموك بذكاء :

فتح أثيرت على اليرموك وثبته
فجن في الضفتين : الفتح والثار

ولم يذكر الرابط بين اليرموك وذات الصواري شطط ، بل ذكره معتمدا على الانسان العربي الذي يحفظ تاريخه · وهو على هذا لم يأت بالرمز ، بل أتى بالبديهة فالخسارة التي مني الروم بها في اليرموك ، جعلهم يهربون الى القدس ، ومنها الى مصر · ورأى عمرو بن العاص أنه يجب أن يقطع دابرهم في متابعتهم · فقد فطن الى انهم تراجعوا الى مصر ليستعيدوا قوتهم لجولة جديدة · وهكذا كان فتح مصر ، وبالتالي شمالي افريقية ·

ولما ظن هرقل أنه هدأ الموقف في القسطنطينية قرر أن يلقن حاكم مصر (وكان آنئذ المجاهد عبد الله بن أبي سرح) درسا لا ينساه · فأعد أسطولا قوامه خمسمئة سفينة · وأرسله بقيادة ابنه قسطنطين سنة ٣٤ هـ · ولكن العرب صبروا واحتملوا فانتصروا ·

وقصده من هذا التاريخ المشرف ، أن يعتبر جنودنا البحارة بموقعة ذات الصواري المنتصرة ·

غزله الوطني :

ان عشقه للثوب العربي الاصيل ، جعله يمتطي باب الغزل ليبلغ مصراع الحماس · فهو دائم التقديم لقصائده بالمطالع الغزلية التي عفى عليها الزمان ، ويميل الى محاوراته مع محبوباته للوصول الى الموضوع الاصلي · ويخطىء من يرى الغزل في المطلع ، فيظن الموضوع كله فيه ·

والحق أن نفسه طويل في قصائده ، ونفسه طويل أيضا في مقدماته الغزلية · ففي قصيدته « قالت لي الشقراء » كتب ثلاثين بيتا مقدمة غزلية ·· ليدخل في الموضوع باثنين وعشرين · وهذا لعمري تقصير حبذا اجتزأه ، أو قسم القصيدة الى اثنتين، الواحدة غزلا والثانية حماسا ·· وأعتقد أنه لا يسيء الى أي من الجزءين · وأذكر أن نزار القباني قال لي مرة : أنا لا أفرق بين قصيدتي في المرأة ، وقصيدتي في الوطن ·· فكلاهما من بلدي ولبلدي ·

والحق أيضا أن الشاعر يميل قلمه (وأكاد أقول قلبه) الى الغزل · وبما أنه قصر شاعريته على الوطنية ، فاننا نراه يكاد لا يتوقف عند ساحة وغى ، الا وفي يده فتاة رقيقة رائعة الجمال ·

وتسيح ريشته مع هذا المشهد ، وينتشي فيطيل ، ولكنه سرعان ما ينتبه الى حبه الثاني ، فيتوقف وقفة عسكرية ليصب جام حبه الوطني في بضعة أبيات · ففي حديثه عن « وطنية فتاة » نراه يطيل بغزله حتى يبلغ سبعة عشر بيتا ليختم القصيدة بالمفاجأة الهادفة ·

ومع أننا قلنا انه أحب حديث الغزل ، فاننا نعود الى حديثنا فنكمله : بأنه غير صادق به بل انه مجرد غزل مادي ، يراه ــ بنظره على الاقل ــ ضروريا لجاذبية القارىء · بل انه يعتبره مفتاح الدخول الى الموضوع ·· ويحسن التخلص من القسم الاول الى الثاني ، لانه يأتي بالمطلع ربطا وليس أصلا · غزله هادف لان محبوبته سمراء مرة وشقراء مرة ·· ضدان لا يجتمعان مع عاشق ·· الا في الشعر ·

وهو يتخذ المرأة محدثة له ، أو معبرة عن طريق الوصول الى الغرض · فقد شعر أن طريق الوصول الى الغرض ، مخاطبة الصديق أو مناجاة الصديقة ، كما كان يفعل الشعراء الاقدمون ··

ومن أجمل مخاطباته لهذه الصديقة المصطنعة ما استخدمه في أجمل قصائده، وهي « الى سفيرتنا في الشمس ولكن حب الشاعر لارضه صادق . انه يريد أن يقول ان وطنه لا مثيل له في العالم كله :

أعلى الشمس مثل كعبة نجران
قباب وكعبة غراء ؟
أعليها منابر وعكاظ
يتبارى في سوقها الشعراء ؟
أعلى الشمس من طلائع تشرين
سرايا جرارة شهباء ؟

سألت شاعرا أديبا من شعراء دمشق عن أسعد حبيب، فقال لي معرفا : أهو صاحب الهمزية ؟ قلت : نعم . قال : والله انه شاعر ، وأجمل ما قرأت له همزيته التي هي بعنوان « الى سفيرتنا في الشمس » . أحسست بصدق المتحدث عندما عدت الى القصيدة أحتوي معانيها . فهو يخاطب محبوبته ، فيقول لها :

حدثينا عن السفارة في الشمس
أفيها لغيرنا سفراء ؟
أو للشمس يا سفيرتنا الحلوة
شمس وللسماء سماء

ان قافيته هنا مطواعة ، وألفاظه متراقصة ، وتعابيره متراصة ، ومحاوراته ذات حياة . ويسترسل في التساؤل عن الموجودات على ظهر الشمس . ويتساءل : أمن المعقول أن يكون للغوطة مثيل على ظهرها ، وهل يمكن أن تطل عليها روعة شواطىء الشام ؟ انه سؤال المستنكر ، سؤال العارف ، سؤال المزهو .

والمطالع التي تحدثنا عنها لم تشمل كل قصائده ، بل انه في « ذات الصواري » يبدأ بخوض البحر مع الجنود العرب منذ الشطرة الاولى ، وهو كذلك في «ملحمة تشرين» .

وغزله في الختام صاحب التعبير دقيقه ، يدل على مقدرة أسلوبية بلا شك . فهو في قصيدته « من أجل التاج » يقول :

نهداك مشبوبان قد أوشكا
أن يحرقا غلالة المخمل
كلاهما ينهد في عشه
مستوثبا ينقر كالبلبل

ولكن كلام أسعد ليس غزلا ، انه نقد لامرأة لعوب ، منظرها يثير حفيظة الرجال . ويزيده ثورة عليها أنها تمتص رحيق الشباب ثم تدوسهم بعد أن ينضب معينهم . وجميل منه تعبيره :

قد كان في وجهك مهوى الفتى
واليوم قد أصبح في الارجل

فهو نقد شاتم في قالب غزل هائم .

ومن موضوعاته الوطنية ، قضايا اليوم العربي . فانه مرصاد يقظ لكل حركة . وقد يكتب في الموضوع الواحد أكثر من قصيدة ، أو انه يتناوله من عدة أطراف . ولعل ذلك بسبب نظمه المتعدد للموضوع الواحد . ومن أهم موضوعاته التي يصب فيها سيله الشعري حرب تشرين الظافرة :

من كرم تشرين لنا سكرة
جن بها الحادون والسمر
لا تذكري الخيل وفرسانها
فالطائرات الميغ لا تقهر

والانسان العربي مارد في ثوب بحار آناً ، وفي حلة طيار آناً آخر . انه لا يريد أن يغمط حق فئة من جنودنا. فهو في « النسر الشهيد » يرى العربي طيارا جبارا .

مارد يحمل قلبا وجناحين حديدا
يملأ الجو على « الميغ » سحابا ورعودا
مارد يقتحم الشهب مضاء وصعودا

ويخرج من نطاق سورية الى لبنان ، وهو بذلك لم يتخط الشام . فيربط بطولة نسرنا العربي الذي حمى سماءنا بتحليقه في سماء لبنان لانقاذه من محنته :

هب كالاعصار للذود عن القطر الشقيق
يستمد العزم من قائده النسر الفريق
يا بنة الارز أعيدي صبوة الماضي العريق
ذابت الشمس على عينيك كحلا فافيقي
نحن يا أخت كما كنا على العهد الوثيق

ويتطلع الى الوطن الكبير (مرة) يحث الرؤساء العرب على تناسي الضغائن ، والوقوف صفا واحدا أمام العدو المشترك ، يربطهم رباط الجهاد المقدس .. رباط الشرف الذي يعيد للعرب كرامتهم ونصرهم :

لا يبعد الجرح في الجلى ذوي رحم
وان تشظت حزازات وأوضار
ان الاواصر تدنينا ، فان قطعت
أسبابها وعراها فهي آصار
والمجد بالامس ان لم يكسه غده
طرافة فهو أسمال وأطمار

عاطفة القرن العشرين :

ان الحديث عن عاطفة الشاعر صادقة أو كاذبة ، حديث انتهى منذ زمن بعيد . والان لا نستطيع أن نرى شاعرا يلتهب حماساً تجاه أحداث أمته ، ويرسلها نارا تلظى ، ونتساءل عن مدى صدق عاطفته .

وهذا الحديث يجرنا الى حديث الالتزام بالادب . فشعراؤنا اليوم ملتزمون بتصوير الوطن وماجراياته . ونضالنا ومواقفنا البطولية خير شاهد على انبعاث أقوال شعرائنا بعاطفة ثائرة هادرة ، لا تقل عنفوانا عن ثوارنا وأبطالنا .

ولكن العاطفة لا تكون في حب الوطن فقط .. فالقلب الذي ينضح بالحب للوطن ، معتاد على تقديم الحب لكل ما يلوذ به ويحيط . فهو في « باقة شعر » منساب من ذلك القلب الصادق . فقد حوته الطبيعة يوما بكرمها ، وأغدقت عليه بعطائها . فجمع حصاده منها في « باقة » مزهرة بالشعر، وأرسلها معززةمكرمة لاخيه يهنئه بحفيده.

ولعل قصيدته هذه من القصائد الاخوانية النادرة التي نشرها ، وليس فيها لهيب النار ، ولا اتقاد الشرار . بل كان يعمها الانس والغبطة والانسانية .

حلة المعاني :

من دراستنا لهذه القصائد التي تعد ٢٧٠ بيتا استطعنا أن نكتشف مقدرته اللغوية . فلم نره عاجزا عن اختيار اللفظة المناسبة للمعنى المناسب . وهذا راجع بالطبع الى ثقافته القديمة من القديم . يقول أحد الشعراء المحدثين من ذوي الطريقة الحديثة في المعنى واللفظ :

« ان هذا العصر يحتاج الى لون خاص من الالفاظ . ان عصرنا عصر اللفظة المناسبة » .

بالطبع هذا كلام معقول ومقبول . وحينما سألت هذا الشاعر الفتى عن نماذج من ألفاظ العصر راح يرميني بألفاظ عامية حينا ، ومقرفة حينا ، وأحيانا نابية أو غامضة .

بالله عليكم يا سادتي هل اللغة العربية الفصيحة عاجزة عن تقديم العون لامثال أولئك الذين يلقمون آذان شبابنا بترهات وألفاظ ، ما أنزل الله بها من سلطان ؟

لماذا نضع رقابة على المواد الاستهلاكية الغذائية ، ولا نشددها على المواد الغذائية الفكرية ؟ لماذا لا نحد من الذين يحتكرون عذب الالفاظ ، ويعرضون رديئه ؟

والشعر حلاوته بثوبه . ومن دون ثوب يبقى عاريا أبدا ، ولا يكسوه الا الثوب العربي الاصيل . والشعر الذي يدخل الباب بأدب ، هو ذلك الشعر المحتشم ، الذي يأتينا بالثوب الفضفاض المتناسب العريق الاصيل .

وأسعد ميال الى العرض القصصي في أغلب قصائده، وهذا أسلوبه في العرض . فانه لا يميل الى الخطب كثيرا في شعره ، بل يريد أن يشرك القارىء في حواره وتساؤله بشكل مترابط وحبكة متسلسلة .

ففي قصيدته « قالت لي الشقراء » يحكي قصة فتاة شقراء عتبت عليه امتناعه عن قول الشعر . فيجيبها معللا بقوله :

والشعر لا يكفي لخوض الوغى
وليس يكفي طرفك الاحور
ان الفدائيين في صمتهم
منا ومن آبائنا أشعر

والواقع ان أسلوبه راقص. ناعم . جذاب. اسمعه:

يا حلوتي أراك انسانة
لا تسمع العذر ولا تعذر !
كأن بلقيس على عرشها
تهدى لها الدنيا ولا تشكر !
أراك كاللبوة في غيلها
تستزئر الليث ولا تزأر

خاتمة المطاف :

وبعد ، فهذه مقالة ، غير جامعة ، لباقة من باقات شاعر متواضع الطرف . نشر أقل من عشر قصائد في الاعوام الاخيرة . وبما أن الجيد لا يخبىء نفسه ، بل يفضحها ، وبما أن الشعر الاصيل هو الذي يحيا رافع الرأس ، فاننا هجمنا على أشعاره هجوم المحب على المحب .. شوقا الى شعر ذي قالب عربي متين مترابط ، سامي الهدف ، عالي الفكرة .

فان وجد المطالع تقصيرا ، فلأن الشاعر لا يفهم كله، الا بجمع كافة نتاجه ومعالجته . أما أننا اكتفينا بثمان فقط ، فهذا دليل على أن عملنا مجتزأ ، ولكن له ما بعده .

والذي نتمنى عليه أن ينعطف قليلا الى الشعب ، يحثهم ويحس معهم ، يشكوهم ويشكو معهم ، يبارزهم النشاط الاجتماعي ، ويتعامل مع قضاياهم . وأحر بهذا الشاعر الغيور الصريح في مضمار الوطنية أن يكون صريحا كذلك في مضمار المجتمع . ترى أله شيء من هذا القبيل ؟ ولم ينشره ؟ أم أنه قصر شعره على مجال دون مجال ؟

وهو متواضع ، أنيس كثير الاحترام لجلسائه من كانوا . يصغي اليهم بمجامعه ، ويستمع لاحاديثهم ، فتحس أنه يحفظ ما يقولون أدبا منهم .

وهو كذلك بدوي في ثوب متحضر ، قروي لم ينزع عنه عنفوان أهل القرى وأنفتهم . ولهذا علاقة بطابعه الكلاسيكي فكرة وأسلوبا .

د. محمد التونجي
جامعة حلب

جنون الضمير

سليم الزركلي

شاقني للهوى القديم حداء ... رف لي صبحه ، ورق المساء

شاقني ، والهوى القديم مقيم ... ـما أقام الوفاء والاوفياء

شاقني عالم تألق في الدهـ ... ـر ، سداه الاعيان والعظماء

يوم كنا نطوف في حرم الد ... نيا ، ونحن الاسياد والامراء

يوم كنا ننضر البيد أعرا ... فا ، فتندى بطيبها البيداء

عالم ذكرياته أبد الدهـ ... ـر نجاوى تبثها الاصداء

خافقات أعلامه الغر ، فالكو ... ن ضياء ، وللهدى أضواء

عشت فيه ، وللكرامة آيا ... ت صيال ، وما بها استخذاء

نشي الدهر في مرابعه الخضـ ... ـر ، فأوفى ، وفي الزمان الكفاء

★ ★

« ربة الشعر » والبيان حبيس ... والمعاني سبيلها كأداء

جنبيني مزالق القول ، وارعي ... خطراتي ، فلا يضل حداء

عصفت بي هوج النوازل تترى ... ودهتني الاهوال والارزاء

واستحلت حمى البطولة فانهد ... د كياني ، فما به عمداء

تتلوى على الكوارث دنيا ... ي ، فتشجى البطحاء والجوزاء

وتنز الدماء خفق ربوع ... باركتها الاديان والانبياء

والميامين في المتاهات غرقى ، ... والحماسات ضجة نكراء

★ ★



جنبيني مزالق القول كاد الـ ... وعي توهيه نكبة نكباء

مضه اللغو، والكرامات صرعى ... والمروات أزند شلاء

والبطاح المطهرات اللواتي ... هل فيها المعراج والاسراء

تجرع الذل، والظلامات تطغى ... في رباها، ويستبد الشقاء

سامها الخسف غاصب تخذ الجو ... ر شعارا، رياحة هوجاء

جيش المكر والخداع جيوشا ... يتولى قيادها الاشقياء

ظالم يرتدي طباع الضواري ... والضواري غذاؤهن الدماء

جرد الآمنين من متع العيـ ... ش، فأودى الامجاد والكرماء

من قتيل على تجاليد قتلى ... أو صريع تمجه الغبراء

وشريد يهيم في حلك البؤ ... س، وكانت له رؤى ورواء

فأحلت جحافل البغي دنيا ... حالفتها العلياء والنعماء

فاستغاثت فما أحار مجيب ... وتنأى الخلصان والرحماء

والزعامات في اصطراع الزعاما ... ت سكارى، تقدها البرحاء

★ ★

هلل الناس للجلاء، وضجت ... في الرحاب الابية الارجاء

هلل الناس للجراحات آضت ... مزهرات دماؤها الحمراء

فاستوت في مراتب العز دارا ... ت، فشعت بها الشموس الوضاء

وتجلت في موطن الخير أمجا ... د عوال ، تروضها العلياء

يتهاوى الخيال دون مداها ... حيث يرقى أجنادها الاصلاء

★ ★

فيم هذي الحقود والبغضاء ... واحتراب الاخوان والشحناء

فيم هذي الضغائن السود تجتا ... ح ، فتدمى الجنادل الصماء

فيم هذا الخصام، والخطب طاغ ... والحزازات تجتوى ، والجفاء

فيم هذا النواح ينضح هونا ... والمغاني تلفها الاسواء

أسقام النفوس أج لظاها ... أم ضلال العقول ، والاهواء

أبهذا الشقاق ينتزع الحـ ... ق ، وفيه يستأصل الاعداء ؟؟

أيها السادرون أرهقنا الكيـ ... د ، وهتك الاعراض ، والافناء

واستلاب الثرى على يد باغ ... بغية محنة ، وصبري بلاء

ما لاطماعه الجسام حدود ... ما روابي الجولان ، ما سيناء

ما ضفاف الاردن ، ما الشرم الا ... بعض ما يحصد الضنى والوباء

حسب هذي الحشود يقتلها الوهـ ... ـن ، ويختال في الونى الكبراء

ذلت العرب ، فاستطال الطواغيـ ... ت ، واربى الاعنات والايذاء

والبهاليل في عويل الصبايا ... صم منهم صدى ، وفي وفاء

فاستراب الحليم في وهدة الصبـ ... ر ، وتاهت ، في فهمها ، الحكماء

والعدو البغيض يمعن في الفتك ، وفي اللهو يمعن الزعماء

★ ★

وادمشقاه ، يا ملاذ المعالي يا غياث الملهوف ، يا الفيحاء

وادمشقاه ، خاب فأل الاماني ، وضلت طريقها الدهماء

هانت العرب فاستهان الاعادي بحماها ، فجلجلت ضوضاء

تتصدى للقتل في عقر لبنان ، وكم صال في الدجى الجبناء

ويح هذا الضلال يوغل في الهدم ، وبئس الضلال والجهلاء

ويح هذا الشرود عن سنن العقل ، وكم أصمت العلى الغوغاء

ضعفاء النفوس شر بلاءا وعلى الهون ، يخلد الضعفاء

تصرخ الضارعات حين يروع الشر قوما يذله الاقوياء

ما جواب الضريخ ، وهو ينادي غير أن ينفع الصريخ نداء ؟

كان يوم الجلاء عيد وئام في مغانيك ، والصفاء صفاء

يوم حفت بك الملائك هالات ، وخف الملوك والرؤساء

ومشت في مواكب النصر أشبال نضال ، وطوف النصراء

وأجادت قرائح الدهر أعيان قواف ، عمادها النبلاء

يا شقائي ، وعيدك اليوم كاب لم يواكبه في العلى الاصفياء

عجز الشعر ، أن يكون عزاء وانزوت في بروجها الشعراء

وتوارى عن المنابر أحماس ، وغاب الاحباب والعشراء

رحمة الله خير زادك فيما قدر الله ، والقضاء قضاء ؟؟

أيها العاقلون، ليس ضرام الخلف ، نهجا يسيغه العقلاء

أيها الراشدون ليس طريق النـ ... ـصر هدم أو فرقة أو عداء
وحدوا، لا تنافروا ، وأصيخوا ... للنداءات ردها الشهداء
يا لثأر الاقداس ، حطمها اليأ ... س ، وأزرت بأهلها البأساء
والتراب الطهور يوحل في الار ... جاس مذ غاض في الحماة الرجاء
حسبكم ترتعون في حلق الاو ... هام ، والداء أنتم والدواء
« لا يفل الحديد ، الا حديد » ... والاباة الغضاب نعم الفداء

★ ★

أيها العابث الدعي بأرضي ... يزرع الفاجعات حيث يشاء
لا تظن الظنون فهي رغاء ... لا تنص الشكوك فهي هباء
ما على الجور والتعسف تبنى ... عتبات الحكام والابهاء
مذ متى كانت المحارم نهبا ... والابيون درعها والوقاء
لا تكلني الى المهانة ، فالاصـ ... ـلاب ، تبقى ، ويغرب الغرباء
أنا من موطن تعهده الله ... جلالا ، قبابه شماء
درج المجد في معاقله السمـ ... ـر ، وعز الاجداد والآباء
نافحوا الظلم والمظالم ، فانزا ... ح ، التعدي، وزحزح الاوصياء
أنا من جنة أفاء عليها ... الله حسنا ، رياضها غناء
أرضعتني دمشق فيض علاها ... فازدهت بي شكيمة ومضاء

★ ★

أيها العابث الدخيل عتوا ... لا تغرنك أنة خرساء
لا يغرنك أن تهادنك البيـ ... ـد ، فللبيد غضبة وضراء
لا يغرنك أن تقر الليالي ... مثخنات ، وترمض الادواء
قد يجن الضمير في غسق الليـ ... ـل ، فتهتز في الدم الكبرياء
فتميد الحصون ، وهي دوام ... ويبيد الطغيان والادعياء

★ ★

يفجع الشعر أن توج القوافي ... ويرين الاغفاء والاغضاء

١٧ نيسان ١٩٧٣

●● سليم الزركلي

كان يا ما كان

عبد الله الطنطاوي

ـ ١ ـ

ـ اسمع يا جعفر ، اني أسمع ضوضاء مريبة (١) .

ـ أجل يا مولاي ..

ـ فلندخل ..

ودخل السلطان ووزيره متنكرين على هيئةدرويشين واذا نفر من الحشاشين يتعاطون الحشيش ، (مصطولين) لا يكادون يميزون الرجل من الحمار ...

قال أحدهم :

ـ آخ آخ .. لو حكمت يوما واحدا ..

تساءل حشاش آخر :

ـ وماذا تعمل في هذا اليوم يا علي بصل ؟

قال علي بصل وهو يلاحق سحابة الدخان الاصفر المنبعث من فيه :

ـ لو حكمت لعرفتم من هو علي بصل . ولرأيتم الدنيا غير هذه الدنيا ..

ـ في يوم وليلة ؟

ـ نعم .. في يوم وليلة فقط .. سأغير نواميس الكون . سأقلب المفاهيم ، سأجعل العقلاء من أمثالنا يتنعمون على فرش الحرير ، سأبيد الكائنات ، سأذل العالم ، هاي .. هاي .. أنا علي بصل ..

ضحك القوم ، وعبوا من الحشيش ، حتى (الانصطال) التام ...

خرج السلطان مع وزيره جعفر ، بعد أن تباسطا مع الحشاشين .

في اليوم التالي حضر السلطان ووزيره ، فهش لهما الحشاشون .. طلبا من الحشاشين أن يقوما بواجب الضيافة ودسا في الشراب الذي أحضراه معهما شيئا من المخدر .. نام الحشاشون .. شخر علي بصل ..

ـ ٢ ـ

في صباح اليوم التالي فتح علي بصل عينيه ، واذا الجواري الحسان قد حففن بسريره ، وتسابقن الى خدمته .. نفض رأسه مرة ومرتين ، بحلق عينيه ، شد شعر رأسه ولحيته ، وأغمض عينيه ثم فتحهما واذا الجواري الحسان ما يزلن حفيات به ..

ـ أين أنا ؟

صرخ علي بصل .

أجابت الجواري :

ـ في قصرك يا مولاي .. في سريرك يا مولاي ..

ـ من أنتن ؟

تقدمت أفرعهن قامة ، وهي تميس وقالت في غنج :

ـ جواريك يا مولاي ..

قرصها في خدها ، فصرخت .. آي .. قال :

ـ يا ملعونة .. انسية أم جنية ؟

ـ جاريتك يا مولاي ..

فتح الباب وجاء اثنان من الخدم ، قدما التاج والصولجان ..

قال علي بصل في نفسه : الحشيش .. ربما كان هذا يخيل الي .. وليكن .. مناما أو حقيقة .. دعني أستمتع بما أنا فيه ..

ـ يا ..

ـ عبدك مسرور يا مولاي ..

ـ أين الوزير ؟

ـ حالا يا مولاي ..

لم يعتم أن جاء السلطان والوزير في ثياب الوزراء..

ـ أمرك يا مولانا .

ـ استعدوا .. سنتجول في المدينة ، سنتفقد أحوال الرعية .. هيا ..

ـ أمرك يا مولاي .. الموكب جاهز ..

– ٣ –

فيما كان الموكب يسير مخترقا شوارع المدينة ، لاحت على البعد جنازة ٠٠ سأل علي بصل :

– ما هؤلاء الناس ؟ لماذا يتجمهرون هكذا ؟

– جنازة يا مولاي ٠٠
صرخ علي بصل :

– عليّ بها ٠٠ هيا أسرعوا ٠٠

جيء بالجنازة ، فأمر بوضعها أمامه على الارض ، ثم حل الكفن عن رأس الميت وهمس في أذنه بكلمات ، ثم أمر :

– احملوه ٠٠ واروه ترابه ٠٠ أسرعوا ٠٠

وأجفل الناس ، وركضوا بالجنازة مسرعين ٠

– ٤ –

في المساء ، سقى الوزيران علي بصل ، ووضعا له المخدر في الشراب ٠٠

– ٥ –

استيقظ الحشاشون ، هزوا علي بصل حتى أيقظوه !
صرخ فيهم :
– ويلكم يا أوغاد ٠٠ من يجرؤ على مولاه السلطان؟

قهقه الحشاشون ، ولم يفيقوا من ضحكهم الا على صوت أجش :

– أيكم علي بصل ؟

فتح علي بصل عينيه ، وراح يطرف بهما :

– من أنت ؟

– أنا قائد حرس مولاي السلطان ٠٠ أيكم علي بصل ؟

قال علي بصل بصوت مرتجف :
– وماذا يريد مني مولاي السلطان ؟

– اذن أنت علي بصل ٠٠ هيا معي ٠٠

– ٦ –

وقف علي بصل أمام السلطان ٠٠ حدد النظر ، فعرف أنهما وزيراه بالامس ، وهما الدوريشان ٠٠ سقط في يده وراح يتأتيء ٠٠

– تقدم يا مولانا السلطان ٠٠
قال علي بصل مذعورا :

– عفوا يا مولاي ٠٠ أنا عبد فقير ٠ مسكين ، على بركات الله ٠٠

– بل أنت السلطان ٠٠

– يا ٠٠ يا ٠٠ يامولاي ٠٠

ضحك السلطان ، وأصابت العدوى وزيره ، فاستغرق في الضحك ، ثم تماسك السلطان ، ودموع السعادة تطفح في عينيه :

– عرفتنا ٠٠ أليس كذلك ؟

– لكن ٠٠ لم فعلتم بي هكذا يا مولاي ؟

قال السلطان :

– ألم تتمن على الله أن تحكم يوما ، ليرى الناس كيف العدل ، وكيف الحكم ؟

قال علي بصل :

– رحمتك يا مولاي ٠٠ أنا مذنب ، أستحق الموت ٠٠

– ولكننا لم نعاقبك ٠٠ حققنا رغبتك ٠ فماذا فعلت ؟

– اقطعوا رأسي يا مولاي ٠٠ أنا مجرم ٠٠

– بل قل لنا : ماذا فعلت ؟

– وهل استطيع أن أفعل شيئا يا مولاي ؟

– لقد رأيناك تفعل ٠٠

– دعني منها يا مولاي ٠٠

قال السلطان بحزم :

– أنا آمرك ٠٠ قل ٠٠ ماذا قلت للميت ؟

تراخت أوصال علي بصل وقال :

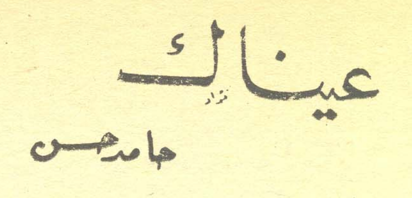
– قلت يا مولاي ٠٠ قلت يا مولاي ٠٠ قلت له ٠٠

– قل ٠٠ ماذا قلت له ؟

– قلت له يا مولاي ٠٠ ما دام السلطان علي بصل ، فلا تحزن على هذه الحياة ٠٠ بطن الارض خير لك من ظهرها ٠٠

---

(١) من مجموعة قصصية قيد الطبع بعنوان : (ذرية بعضها من بعض) ٠



عيناك ... وانسكب السماء ، ورف فيروز وغار

عمقاهما تيه ، تضيع به المجرة ، والبحار

وأنا ... أنا قلق على شطئيهما ، وأنا انتظار

★ ★

وطلعت - يوم طلعت - لي شفقا ، وفي الشفق اسمرار

لولا رفيف ظلال ناعستيك ما اسمر النهار

★ ★

كونان !! بينهما - على رغم اتحادهما - جدار !!

حتى اذا التقيا ، ورف الجلنار الجلنار

أيقنت أني في الزمان ، وصار لي أهل ودار

★ ★

وأنا الهوى كل الهوى الطاغي ، أثير ، ولا أثار

والخمر ... من قال : الكؤوس سكرن ؟؟ من قال : الجرار ؟

فأنا ، وأنت ، وأمس ، واليوم اجترار ، واجترار

ونباح وحش دم ، وجوع فم الطبيعة ، والسعار !!

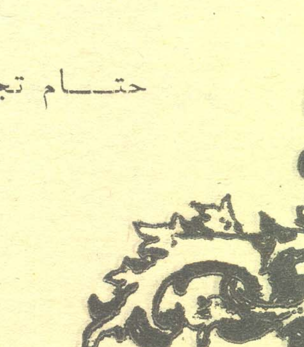
أخطيئة ؟؟

عار ؟؟

وأين هما ؟؟

ابالانسان عار ؟؟

حتام تجلدنا السماء ؟؟ وسوطها غضب ونار !!



●● حامد حسن




من لزوميات مخيمر

الى الاستاذ عبد العزيز عبد الله الربيعي

نزلت علينا في الشتاء ربيعا ... فنضرت أشواق النفوس جميعا

وكنت جميلا مشمس النفس عاطرا ... مليء الحنايا بالصفاء وديعا

وناديتني لما أتيت تزورني ... فكنت سميعا للنداء مطيعا

اعبد العزيز بن الربيعي يشتري ... سوانا الهوى من نومه ليبيعا

ومن عرف الايام مثلك لم يجد ... عليها له في العارفين قريعا

أطل علىَ قلبي فألقاك فارسا ... قد احتل حصنا في ذراه منيعاً

ونازلت فيه يأسه فغلبته ... وغادرته فوق التراب صريعا

وأبطأت في اللقيا وما كنت منصفا ... فما لك تمضي للرحيل سريعا

أخي ٠٠ لاتغب عنا طويلا ٠٠ فانني ... أرى البعد شيئا لا يطاق فظيعا

وهبني شيخا للرعاية عافيا ... والا فهبني للوفاء رضيعا

ألست ترى دمعي بعيني من النوى ... أريق وقلبي في الاضالع ريعا

●● أحمد مخيمر



كتاب النفاق

الدكتور عبد السلام العجيلي

أتطلع في بعض الاحيان الى الكتب المركومة على مكتبي أو المكومة على رفوف خزانتي منذ أشهر ، وبعضها منذ سنين ، في انتظار أن يبلغها الدور في قراءتي لها ، فأتحسر على زمن كنت أبحث فيه عن كتاب أستعيره ، أو أشتريه بمصروف جيبي الضئيل ، كي أملأ به وقت فراغي . وقد أضحك من نفسي وأنا أرى مجلدات أقتنيها ولم أفتح صفحاتها بعد ، اذ أجدني صرت مثل ذلك الذي قيل في هجائه :

وفي طاقاته كتب كبار

مجلدة ، ولكن ما قراها

ولكن الذنب في هذا ليس ذنبي ، انه ذنب الوقت الذي ملأته المشاغل والمطالب والعلاقات الاجتماعية ، فضاق عن الرجوع الى الاصحاب الذين لا تمل صحبتهم : الكتب ، ويحدث بين الحين أن أخادع نفسي أو أخادع كتبي المنتظرة دورها ، فأتناول كتابا مهملا لم يئن أوان قراءته ، فاذا أجتذبني استمررت حتى انهيته ، وهذا ما حدث لي منذ مدة قريبة ، اذ أغريت بمظهر كتاب من تلك الكتب التي يسمونها (الكتب الصفر) ، فلما بدأت تلاوة صفحاته الاولى وجدتني أقبل عليه في شغف وتعلق ، جانيا منه متعا وفوائد لم تخطر على بالي ، حتى انتهيت منه ، لا في جلسة واحدة بل في جلسات عدة متتابعة . وهذا الكتاب هو ما أطلقت عليه الاسم الذي عنونت به مقالي : كتاب النفاق .

والحق ان هذا ليس عنوان الكتاب ، فعنوانه الاصلي هو (السيف المهند ، في سير الملك المؤيد) وهو ليس كتابا من الكتب الصفر الا باعتبار ما كان ، فهو كتاب قديم ، غير اني قرأته في طبعة جديدة محققة ومشروحة ومفهرسة ، على ورق أبيض صقيل وبحروف جميلة مشكلة . أما لماذا سميته بهذا الاسم البغيض ، كتاب النفاق ، فذلك ما سيتبينه القارىء من حديثي عنه اليه .

يجدر بي في البدء أن أعرفه بهذا الكتاب وبمؤلفه ، فالمؤلف هو (شيخ العصر ، واستاذ الدهر ، ومحدث زمانه ، المنفرد بالرواية والدراية ، بدر الدين أبو محمد ابن أحمد بن موسى بن أحمد الشهير بالبدر العيني) . وقد ولد البدر العيني في أوائل النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة في بلدة (عينتاب) وعاش ثلاثا وتسعين سنة قضاها في الدراسة والتنقل طلبا للعلم ، ثم تدريسا للعلم ، وتوليا للوظائف المختلفة في البلدان العديدة التي حل فيها وفي خدمة الامراء الكثيرين الذين عاصرهم ، وكتاب (السيف المهند) هو أحد تآليفه الكثيرة التي قارب

عددها الخمسين ، ويقع بعضها في مجلدات متعددة ، وقد ضمنه سيرة الملك المؤيد الشيخ المحمودي ، الذي تولى السلطنة في مصر والبلاد الشامية في عام ٨١٥ للهجرة وتوفي عام ٨٢٤ ، وقدمه الى هذا الملك تقربا اليه به ·

وليس بدعا ولا عيبا أن يؤلف كتاب في سير ملك ، ولا أن يقدم الى هذا الملك زلفى له ، كما انه ليس منتظرا أن يخلو تأليف مثل هذا الكتاب من الثناء على من ألف له وفيه ، ومن التغاضي عن مساويه والمبالغة في وصف مناقبه ذلك ضرب من التملق يدرك القارىء ما يبعث اليه ويحتمله بدرجة قليلة أو كثيرة ، ما دام لا يتعدى حدا تقلب فيه الحقائق أو تزيف فيه الاحداث · وكان محتملا من البدر العيني أن يضمن كتابه شيئا من تلك المبالغات ، وأن يخليه من ذكر المآخذ على ملكه المؤلف في مسيرته هذا الكتاب ، غير ان شيخنا العيني لم يفعل شيئا من هذا ، فهو لم يحرف التاريخ ، وقد احتوى كتابه صفحات قيمة منه ، ولا زيف في الوقائع ، بل انه نقلها عن ثقاة بدقة وتحقيق كلي ، كما اني لا أحسبه قد اختلق لممدوحه مناقب لم تكن له ، فهو قد أحسن الترجمة لهذا الممدوح ، موردا حكاية ما مر به من توفيق وما اعترضه من بؤس ، بواقعية تشبه واقعية كتاب الضبط حين يصفون الحالات الراهنة · وفي هذا صدق البدر العيني ما وصفه به معاصروه من الامانة الى جانب سعة العلم والبراعة ، ومع ذلك فاني لم أتزيد على هذا الشيخ الجليل ، حين جعلت النفاق صفة للكتاب المذكور ·

كيف أقول هذا دون أن أقع في التناقض ؟·· الصحيح أن البدر العيني قد أدخل النفاق الى كتابه بطريقة مبتكرة لم يسبق اليها ، فهو كما قلت لم يزيف الاحداث ولا اختلق الوقائع ، ولكنه سخر هذه وتلك بأسلوبه البارع كي يصل الى تمجيد ممدوحه ، ولا بد لنا من أن نتعرف على ممدوح البدر العيني · انه السلطان أبو النصر ، المؤيد ، شيخ ، وانه تاسع السلاطين الترك المجلوبين الى مصر) ، اتكأ البدر على هذه الهوية التي يحملها شيخ المحمودي ، وانطلق بتأليفه متحدثا عن أصل هذا الملك وجنسه ، وعن اسمه وكنيته ولقبه ، وعن سلاطين المماليك الذين هو تاسعهم ، وعما مر به من أحداث وما أتصف به من صفات هيأته ليكون ملكا · وفي كل بند من بنود هذه الهوية بسط المؤلف معارفه الواسعة التي يعود منها قراؤه ، وأنا منهم ، بحصيلة علمية كبيرة مزجاة اليه بأسلوب أدبي وتعليمي ذكي وممتع ·

يتحدث البدر العيني عن أصل شيخ المحمودي وجنسه في الباب الاول من كتابه ، بادئا من أبينا آدم ، معددا بطون أبنائه الى أن يصل الى قبائل الترك التي ينتسب اليها الجراكسة ، على حد قوله ، ثم الى بطن كرموك من بطون الجراكسة ، وهو البطن الذي ينتسب اليه الملك المؤيد ، وليس قليلا ، من الناحية العلمية ، ما جاء به البدر العيني في هذا الباب من معارف دقيقة أحتوت أسماء قبائل الترك وأسماء ملوكهم ، وحتى السمة ، أو ضرب الوشم المميز لكل قبيلة عن غيرها ، وحين انتهى من سرد كل هذه الامور التي بينت سعة اطلاع هذا العالم الكبير ، عرفنا بأن بطن كرموك الذي منه السلطان شيخ المحمودي هو من أشرف بطون الجراكسة : (وهو في الاصل اسم ملك كبير فيهم سمي هذا البطن باسمه ، فلما مات خلف ابنا يسمى « جويا » فلما مات خلف ابنا يسمى « طقجا » ·· ثم مات وخلف ابنا يسمى « اينال » ·· ثم « سرماش » ·· ثم ·· ومولانا السلطان المؤيد ، ثبت الله قواعد دولته ، من ذرية اينال المذكور ، وهو أصل شريف كبير فيما بينهم ، مشهور بالشجاعة والشهامة والمرؤة والكرم والسطوة ، وأبوه أيضا كان كبيرا كأسلافه ·· وأعلم أن كرموك من بين الجركس والعرب ، وهم عرب غسان ، وأصل ذلك ···) ·

ليس هذا على كل حال نفاقا كبيرا ، ولكنه كان أول القطر ، اذ تدرج البدر العيني في الابواب التالية الى ما يفوق ما أورده في الباب الاول ، مسخرا معرفته الواسعة للرفع من شأن ممدوحه ، درجة بعد أخرى ، حتى بلغ به مصاف عظماء الملوك في كل الازمان ·

تحدث في الباب الثاني عن اسم السلطان المؤيد وعن دلالة حروفه ، فعدد معاني كلمة « شيخ » ومواقعها في القرآن الكريم ومفهومها فيه ، وفي اللغة ، وتعرض لمطابقة الاسم للمسمى ، وقال : ان وضع الاسماء بالالهام حكمة الهية ، وتحدث عن أسرار الاسم بالنسبة للبروج والنجوم ، وكيف ان نجم السلطان تاسع البروج ، كما انه تاسع السلاطين المجلوبين ، ورسم الصفات والاحوال المستقات من هذه البروج بالنسبة للصحة والمرض وللاقارب والاولاد والزوجات ، والاسفار ، والحساد والاعداء ، حتى انه عين له يوم الوفاة ، وهو تعيين لم يصدق فيه ·· وهو في كل

هذا يغرف من معين اطلاع موسوعي لا يبارى فيه ، يتيح لقارئه اطلاعا مكثفا قل أن يقع عليه في غير هذا الكتاب الفريد .

ومن الاسم ينتقل البدر العيني الى كنية السلطان في باب ثالث ، ثم الى اللقب في الباب الذي يليه ، باسطا نفس المعرفة الواسعة ، ومتغلغلا في غابة النفاق شيئا وراء شيء ، وحين يبلغ الى كون شيخ المحمودي هو التاسع بين سلاطين الترك المجلوبين تسوقه براعته في التدليس الى هذا التقرير المبتكر ، اذ يقول : (.. والتاسع السلطان الملك المؤيد شيخ بن عبد الله ، والبشارة له فيه أني تتبعت جميع الدول التي كانت قبل الاسلام ، والدول التي كانت في الاسلام ، فوجدت في التي قبل الاسلام تسع دول عظام ، وكذا في التي في الاسلام تسع دول عظام ، ووجدت في كل دولة منها تسعة من الملوك الكبار ، ووجدت تاسع كل تسعة أحسنهم وأكثرهم خيرا وأبسطهم عدلا ، وأشدهم قوة ، وأعلاهم منزلة ، وأكثرهم أمنا في عسكره وبلاده ورعيته و .. و .. فلما كان هؤلاء كلهم على منوال واحد ، فكذلك يكون مولانا السلطان المؤيد لأن ما ذكرنا صار كالقاعدة الكلية باعتبار وقوع كل منهم تاسعا ، فنقول : .. وهذا بالاستقراء ، وهو يفيد اليقين غالبا ، لان الاستقراء عبارة عن اثبات حكم كلي لثبوته في أكثر الجزئيات ، وهو أما تام ان علم حصر في الجزئيات ، وهو الذي يسمى القياس المقسم ، واما .. وقياسنا أيضا برهان لان مقدماته يقينية ، لان ما ذكر علم بالتواتر من أهل النقل ..) .

فانظر الى هذا التسخير من البدر العيني للتاريخ ولمعلوماته الواسعة ، ولتسخيره لعلم المنطق ، وهو كذلك راسخ المعرفة فيه ، ليستنتج من كل ذلك رفعة قدر مولاه السلطان المؤيد : انه يجعل الدول العظام قبل الاسلام تسعا ويحصر الدول العظام في الاسلام بتسع كذلك ، ويجعل أعظم ملوك كل هذه الدول التاسع منهم ، واذا خانته وقائع التاريخ المعروفة في تحقيق استقرائه الذي يقول عنه انه يفيد اليقين ، فانه يتحايل على التاريخ كذلك ، ويجعل أعظم ملوك كل هذه الدول التاسع منهم ، ليدخل الشاذ الى حظيرة القاعدة التي يضعها ، مثال ذلك : انه تكلم عن دولة بني أمية وأراد أن يقرن ملكه المؤيد بخير خلفائها ، عمر بن عبد العزيز ، غير ان عمر بن عبد العزيز هو ثامن أولئك الخلفاء ، فما كان من شيخنا العيني الى رجع ببني أمية قليلا الى الوراء ، فاعتبر أن خلافتهم ابتدأت بعثمان بن عفان .. كل ذلك ليصبح عمر ابن عبد العزيز هو الخليفة التاسع ، وليقول البدر العيني في نهاية الكلام عنه : (.. ولمولانا السلطان بشارة عظيمة ومسرة عظيمة ، حيث وقعت سلطنته في درجة سلطنة عمر بن عبد العزيز ، لان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو التاسع من خلفاء بني أمية .. فكذلك مولانا السلطان هو التاسع من سلاطين الترك . ونرجو من الله تعالى أن يرزق من حظوظ الدنيا والآخرة ما رزق عمر بن عبد العزيز ..)

وعلى هذا السنن يمضي البدر العيني في كتاب يتجاوز عدد صفحاته من القطع الكبير ، ثلاثمأة . لا يملك القارىء لهذا الكتاب الا أن يبتسم لبراعة هذا الشيخ في دسه تزلفه في دسم العلم الواسع المعروض في أسلوب جميل ورواية أخاذة . ومن ناحيتي أنا أذكر أني أطبقت الكتاب بعد أول قراءة له ، معجبا بما تضمنه من فائدة ومتعة ، ولكني ناقم على مؤلفه الشيخ الجليل حين وقف معرفته الواسعة على النفاق لحاكم ولو كان سلطان مصره وزمانه ، ربما كان الملك المؤيد شيخ المحمودي ، كما وصفه البدر العيني ، حاكما قوي الشكيمة ، حسن الادارة ، باحثا عن خير رعيته وأمن بلاده ، ولكن هذا لا يبيح لعالم في مرتبة البدر أن ينزل بالعالم الى حضيض التزلف والنفاق بكتابة هذا الكتاب بهذا الاسلوب .

قلت : ان هذا ما شعرت به في أول قراءة لي لكتابه (السيف المهند في سيرة الملك المؤيد) ، فهل دام لي هذا الشعور ؟.. الصحيح اني عدت الى نفسي بعد ذلك فوجدتني أخفف من حكمي على البدر العيني وأجد لسلوكه في مؤلفه بعض المبررات ، وذلك حين وضعته في زمنه ، ولاسيما حين قارنته ببعض من يحتلون في أيامنا منزلة مثل منزلة البدر العيني في أيامه ، في العلم أو قيادة الفكر ، في القرن التاسع الهجري ، وفي ظل دولة المماليك كان الحياة وكان الموت منوطين بلسان السلطان وسيفه ، وكذلك كان رخاء العيش وبؤسه . انسان مثل البدر العيني كان مضطرا ، أو شبه مضطر ، الى التفيؤ بظل السلطان ، وأن يدفع ثمن هذا التفيؤ بأن يؤلف كتابا مثل كتاب النفاق هذا ، فما بالنا نرى في هذه الايام ، في البلاد القريبة والبعيدة ، من هم في غير حاجة الى ظلال السلاطين ، يداهنون ويسخرون مواهبهم وعقولهم وأقلامهم في النفاق لهؤلاء السلاطين بحماس يفوق حماس البدر العيني ، وببراعة وعلم دون براعته وعلمه ؟..

رحم الله شيخنا البدر وغفر له ، فهو على كل حال قد ساق الينا فائدة بما سجله لنا في كتابه من علم ومعرفة ، وحتى نفاقه لم يخلنا من متعة ، فقد ساق الى شفاهنا الابتسام ولم يحرمنا في تملينا له من موعظة وعبرة .

الرقة — **الدكتور عبد السلام العجيلي**

ابعاد الرمز في الشعر العربي الحديث

احسان محمد جعفر

لم تكن الظروف التي أحاطت بدخول التيار الرمزي الى الشعر العربي المعاصر مماثلة للظروف الاجتماعية والفلسفية التي أرهصت لولادة مذهب (الرمزية) في فرنسا في القرن التاسع عشر . فقد كان هذا المذهب حركة احتجاج على روح البرجوازية المشبعة بحب العمل والنجاح وضد النظرة الوضعية والمادية للحياة ، وعلى الصعيد الفني جاءت احتجاجا على موجة الرومنطيقية التي اجتاحت الادب الفرنسي في القرن التاسع عشر وأسرفت في استخدام الادب ، وبخاصة الشعر ، كوسيلة للتعبير عن المشاعر الشخصية والعواطف الخاصة ، ورد فعل للبرناسية التي كانت مدرسة تصويرية ذات روح موضوعية صارمة ، كانت غاية الرمزية الفرنسية أن تبدع شعرا أكثر صفاء يجنح نحو اكتشاف المبهم والمضمر في الاشياء .

أما التيار الرمزي الذي اقتحم (خارطة) الشعر العربي المعاصر من لبنان باكرا منذ العشرينيات من هذا القرن على يد أديب مظهر المعلوف وبشر فارس ويوسف غصوب وسعيد عقل وصلاح لبكي فلم يأت احتجاجا على أي من القضايا الاجتماعية أو الادبية ، ويبدو أن تفسير ظهور الرمزية في ذلك الوقت المبكر انما يعود الى أن الموهبة الشعرية اللبنانية ، لاتصالها المبكر بالغرب تمثلت أسس مذهب « الرمزيين » المعقد الذي عكسه بعض الشعراء .

ولقد حاول الاتجاه الرمزي في الشعر العربي أن يتبنى لنفسه آراء رمزيي القرن التاسع عشر في فرنسا أمثال (استيفان مالارميه) و (بول فاليري) و (الاب هنري بريمون) و (شارل بودلير) اذ الرمزية عندهم ترمي الى الايحاء بدلا من الافصاح ، والتلميح بدلا من العرض . وسبيلها الاول الى ذلك هو الموسيقى التي تنبعث من جرس الاصوات وانسجاماتها وموسيقى التراكيب ، مع فطنة دقيقة الى وقع العناصر الموسيقية المختلفة وارتباطها بالمعاني المتباينة . ولما كانت هذه الوسائل لا تبلغ حد الافصاح المباشر ، وكان أصحاب هذا المذهب لا يحرصون هم أنفسهم على هذا الافصاح ، فان شعرهم يكتنفه غموض كثيف ، وان كانت معانيه وايحاءاته بالغة العمق .

والمقصود بالرمز عندهم بقية التصفية الفكرية ، والجوهر الاقصى في كل تشبيه ، وليس هو اشارة تتحدد ، ولكنه وسيلة تعبيرية تسبر الاعماق وتستخلص المادة التي تحدق بنواة الفكر ، وبه يمكن الايحاء الى كل الاشياء والتعبير عن أية حالة من الحالات النفسية فكل مافي الكون ينزع الى أن يكون رمزا بعامل الفكر .

ولا شك أن سعيد عقل كان أعظم ممثل لهذه المدرسة وقد أكد في مقدمته للمجدلية (صدرت سنة ١٩٣٧) على أن الشعر يجب أن لا يخبر بل يومىء ويلمح ، وأصر ما شأنه شأن بقية الرمزيين على الادراك اللامنطقي والحدسي للعالم وينفصل شاعر هذه المدرسة عن الحياة العادية وعن الاهتمام بمشكلات العصر حتى ان العلاقة بين الشاعر والمجتمع ، في هذه المدرسة ، تصل الى الحضيض . غير ان شعراء العربية الجدد ، على الرغم من صدودهم الطبيعي عن تجربة « عقل » الجمالية ، استغلوها أعظم استغلال .

لقد أعطاهم « عقل » شعرا تخلص من الميوعة الرومنطيقية ومن الحشو والتراخي ، ومن الاستعمال الغائم غير الدقيق للكلمة . ان شعر ما بعد سنة ١٩٤٨ في نماذجه الجيدة ، شعر رمز وايحاء وايجاز وشعراؤه مدينون في كل هذا لسعيد عقل بقدر ما هم مدينون فيه لرمزيي القرن العشرين في الغرب .

واذا كان الشعر العربي المعاصر قد تلقف الرمزية بمفهومها الحديث عن الغرب ، فان الشعر العربي القديم عرف أنماطا من « الرمزية » لجأ اليها أبو تمام والمتنبي والشريف الرضي وسواهم من قدامى الشعراء ، كما ان شعراء التصوف من أمثال ابن الفارض والحلاج وابن عربي ارتقوا في تصنيع دلالات الرمز وساروا به أشواطا بعيدة .

لكن مفهوم « الرمز » عندهم وطريقة تناوله كان يختلف عن مفهومه الحديث الذي طرأ عليه تطور بعد تطور ..

فأبو تمام لم يتجاوز في احكام الرمزية في شعره صبغين من أصباغ التصوير وهما « التجسيم والتدبيج » . والمتنبي لم يزد على تصنيع مصطلحات التصوف واتخاذ منهجهم في الرمز والايحاء . غير أن بعضهم يرى أن الشريف الرضي هو « بودلير العرب » ، وواضع أسس الرمزية في الشعر العربي ، ويقابل ما بين الشريف والشعراء الرمزيين في مواضع شتى . ويزيد بعضهم أن شعراء التصوف يلتقون « بالرمزيين » في التعبير عن الحالة اللاواعية التي يعنون باستنباطها .

ومن نماذج الشعر العربي القديم التي لجأ فيها الشعراء الى الرمز قصيدة ابن الرومي التي يقول في مطلعها :

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان
فيهن نوعان تفاح ورمان
وفوق ذينك أعناب مهدلة
سود لهن من الظلماء ألوان

قيل انها تصوير لجسد امرأة والرمز فيها يشير الى شيء حسي ، وهذا النوع من الرمز كثير في الشعر العربي القديم يلجأ اليه الشعراء لاعتبارات اجتماعية كالمحرمات ولاعتبارات جمالية أيضا ، وهذا ما يسمى بالرمز الذي يستر ، وهو يختلف عن النوع الآخر من الرمز الذي هو طريق ورؤيا ووجهة نظر يحاول الشاعر جاهدا أن يبدعها كي يرى حياته أو تجربته في نورها . وما يراه الشاعر هنا يتجاوز الحس الظاهر ، وهذا الرمز هو الذي يكشف ، وهو الذي أخذ به الشعر العربي الحديث لاظهار أبعاد المستقبل ...

فالرمز اذن في الشعر الحديث الذي اتضحت معالمه بعد سنة ١٩٤٨ غير الرمز بمفهوميه : القديم حيث نجده في كليلة ودمنة والحكايات التي وضعها الناس على لسان الحيوان وعند بعض الشعراء ، ومفهومه الذي نجده في آثار المدرسة الرمزية في القرن التاسع عشر ، ذلك أن الرمز « بالمفهوم الحديث » هو ذلك الرمز الذي يكشف وليس الذي يستر ، وقد توسع مفهومه فأصبحت الرموز تشمل الشخصيات التاريخية والاساطير ...

وقد استعمل عدد من الشعراء كخليل حاوي ويوسف الخال وأدونيس وبدر شاكر السياب وجبرا ابراهيم جبرا أسطورة تموز أو التنين أو بعل أو العازر أو المسيح وكلها تومىء الى أن بلوغ العالم الجديد الذي يتوقون اليه لا يكون الا بالموت الذي يعقبه البعث والخصب أي بعث الاله أدونيس – تموز . وقد عبر هؤلاء الشعراء عن تجربتهم بواسطة الرموز الاسطورية المباشرة كأدونيس وخليل حاوي ويوسف الخال وغير المباشرة كالسياب وجبرا .

وها هو ذا خليل حاوي في قصيدته « العازر عام ١٩٦٢ » يتخذ من العازر رمزا للبطل الخائب الذي انتظرته أمته طويلا ، ولكنه حين يبعث من قبور الرجاء والانتظار تصرخ زوجته (الامة) :

غيبيني وامسحي ظلي وآثار نعالي ،
يا ليالي الثلج ، فيضي ياليالي .
امسحي ظلي أنا الانثى تشهت في السرير
خلف بعل لا يجير .
ماردا عاينته يطلع من جيب السفير .

أما موقف البطل من تلك الخيبة فكان موقف يأس :

الجماهير التي يعلكها دولاب نار ،
من أنا حتى أرد النار عنها والدوار ؟
عمق الحفرة يا حفار ، عمقها لقاع لا قرار .

وشعر حاوي من الكلمة الاولى في ديوانه (نهر الرماد) حتى الكلمة الاخيرة في ديوانه (رسالة الغفران) يستحيل رموزا : البحار ، الدرويش ، الناي ، الريح ، الام ، العجوز ...

ولان هذه الرموز كاشفة ، تجيء القصيدة بداية في رحلة الكشف ، وتستمر القصيدة بعد انتهائها الظاهري في العالم الذي تكون ألقت ضوءا عليه ·

ان الرمز الساتر تنميق لفظي وزخرف تبقى علاقته بالقصيدة علاقة خارجية أما الرمز الكاشف فهو الرمز الحقيقي الذي يجعل من الشعر عملية رؤيا واكتشاف ، وبهذا يطبعه بحتمية لا تخفض الى شيء آخر · العلاقة هنا داخلية عضوية بين الرمز والقصيدة ·

كما لجأ الشعراء أيضا الى استخدام الشخصيات التاريخية الاسطورية ونماذج عليا من الغرب والشرق كسيزيف ويوليس والسندباد وأيوب والحلاج وعبد الرحمن الداخل وصاحب الزنج والفينيق وغيرهم ·

ومن ذلك اختيار أدونيس للطائر الاسطوري المسمى « الفينيق » رمزا يجسد فيه معانيه الحلولية وتجاربه الثقافية ففي قصيدته التي تحمل اسم هذا الطائر الخرافي يبين لنا القبس الذي اليه يسير متأثرا بما تحققه رموز الاسطورة حيث يهدم الفينيق السدود بين الحياة والموت ويعلو على الحياة ويمتلكها بالموت اذ تقول أسطورته انه باحتراقه يبعث من جديد :

« تحرقنا ، تربطنا بريشك المرمد

لنهتدي · »

وحينما يحضنك الرماد أي عالم تحسه »

وبعلبك ما تكون ، ما يكون السحر الذي

امتلكت شمسه ؟ »

ما الموت يا فينيق ، أي عالم وراءه ؟ »

وقد طرأ على استخدام الرمز فكرة «الحلول» ذلك أن الشاعر يتحد بالشخصية أو الرمز الذي يتخذه قناعا في قصيدته ·· بحيث يصعب علينا أن نفصل بينه وبين هذه الشخصية أو الرمز وعن هذا الطريق يمنح الشاعر تلك الشخصية التي توحد معها قدرة على تخطي الزمن والعبور الى « المعاصرة » وقوة لتعبر عن الطموح الجماعي ·

ومن الشعراء الذين أدخلوا فكرة « التعبير بالقناع » على الشعر الحديث عبد الوهاب البياتي وأدونيس غير أن البياتي يفترق عن أدونيس في أنه لا يتحد الا بالشخصيات الثورية وقد أخذ أدونيس اتحاده بشخصية عبد الرحمن الداخل في قصيدته (الصقر) لانه يعتبر شخصية عبد الرحمن ــ على قيمتها التاريخية الكبيرة ــ غير مسوغة بالنسبة للشاعر ــ الثورة · اذ لم يكن عبد الرحمن بالثوري انما كان حاكما هرب من الموت في دمشق ليؤسس دولة له في صقع آخر ·

ورموز البياتي متعددة ومتشابكة فرموز المدن والاسماء عنده كعشتروت وتموز وعائشة والصفصافة ولوركا والخيام وبابل وبغداد ونيسابور ومدريد وديك الجن وجاريته مدن وأسماء الماضي والمستقبل ، وهي تؤلف عنده دلالات الحلول ، فهو يرمز الى لوركا مثلا بالثورة المغدورة وبعائشة الى التجدد والديمومة ، ويجمع بينهما وبين عشتروت ، ثم ان للدلالة اللفظية قيمة عنده فعائشة مشتقة من اسم الفاعل عائش وهو (الفعل) المستمر في لغتنا ولهذا مثلا لم يختر كلمة دعد أو زينب :

خبأت وجهي بيدي ،

رأيت

عائشة تطوف حول الحجر الاسود في أكفانها

وعندما ناديتها : هوت على الارض رمادا وأنا

هويت فنثرتنا الريح

وكتبت أسماءنا جنبا الى جنب على لافتة الضريح ·

وقد تأثر الكثير من شعرائنا الحديثين في اعتماد الرمز والاسطورة في شعرهم ببعض شعراء الغرب ك (ت· س· اليوت) ، وعلى الاخص بقصيدته (الارض الخراب) التي جاءت كنموذج يعكس الاستعانة بالاسطورة للتعبير عن الجدب والجفاف اللذين تمثلهما الحضارة الحديثة بالنسبة الى (اليوت) فتبنوا أسلوبه وتكنيكه وبعض رموزه ·

أما ميزان العلاقة بين الرموز المكونة للصورة الشعرية فشيء غاية في المرونة ولا يمكن ضبطه · ولعل السبب يرجع الى تلك الثنائية في طبيعة الرمز ، تلك التي تجمع في وقت واحد الحقيقي وغير الحقيقي ، والى مرونة المادة النفسية بصفة عامة ، وعلى هذا قد يمتزج الرمز في الصورة الشعرية بالحقيقة ، غير أن اختيار الرمز في تشكيل الصورة الشعرية لا ينفصل عادة عن سائر أفكار القصيدة ، فليس اختيار الرمز اذن تعسفيا أو اعتباطيا وانما تدعو اليه ضرورة نفسية ·

ولننظر في هذه الصورة الشعرية ، انها قصيدة بعنوان (أنا والمدينة) للشاعر أحمد عبد المعطي حجازي :

هذا أنا

وهذه مدينتي

عند انتصاف الليل

رحابة الميدان ، والجدران تل

تبين ثم تختفي وراء تل

وريقة في الريح دارت، ثم حطت، ثم ضاعت في الدروب ظـل يذوب

يمتد ظـل

وعين مصباح فضولي ممل

دست على شعاعه لما مررت

وجاش وجداني بمقطع حزين

بدأته ثم سكت

ــ من أنت يا ٠٠٠ من أنت ؟

الحارس الغبي لا يعي حكايتي

لقد طردت اليوم من غرفتي

وصرت ضائعا بدون اسم

هـــذا أنا

وهذه مدينتي !

وهكذا نجد رمز « الجدران » قد ترددت أصداؤه في شتى جوانب القصيدة ، كما انه بتفاعله مع الرموز الاخرى (الوريقة ، الظل ، عين المصباح ، الحارس) قد أحدثت نوعا من التماسك الشعوري في القصيدة كلها حتى جعل منها صورة نفسية موحدة ٠

وهنا تتضح لنا طبيعة الرمز العجيبة ، تلك الطبيعة الثنائية التي تجمع بين الحقيقي وغير الحقيقي في وقت واحد ٠ فالجدران والدروب والمصباح والحارس كلهـا عينات واقعة في المدينة غير ان هـذه العينات والوقائع في الوقت نفسه لا تمثل أي تركيبة عقلية ذات دلالة خاصة ٠ فالوريقة مثلا (وكونها وريقة يعلن منذ اللحظة الاولى عن تفاهتها وحقارتها) التي دارت في الريح ثم حطت ثـم ضاعت في الدروب ليست الا صورة لتفـاهة الانسـان وضياعه ٠

والحديث عن الرمز يجرنا للتحدث عن الغموض في الشعر هذا الاغماض الذي يكاد يطبق على شعرنا الحديث ويلفه ، ولا تكاد تخلو منه قصيدة حديثة ٠٠ وقد شـط بعض الشعراء في استعمال لغة الرمز وغالوا في ذلك مغالاة بلغت حد الطيش والولع فغدت قصائدهم طلاسم وبوابات يستحيل فتحها ٠٠٠ ومن هؤلاء أنسي الحاج الذي يقول في قصيدة (الفيض) في ديوان (الرأس المقطوع) :

ذهب غراب

يحوم فوق المسك الممضوغ والاجناس المطفأة ٠

وقبل أن نتساءل عن معنى هذا الكلام ، يجدر بنـا أن نقرأ ما كتب أنسي الحاج على غلاف الديوان اذ يقول : « ان اللغة الشعرية في « الرأس المقطوع » غدت رمزا أي شعرا نافذا ، بليغا ، حافلا بمتع الفنون الجميلة كلها ٠ كما غدت هذه اللغة مجردة ٠ وهذه قيمتها ، من الفراغ القاتل بينها وبين مضمونها ٠ فقد اتحدت به اتحادا واعيا وصارت واحدا ولكن بعد عدة أقانيم ٠٠٠ »

أليس هذا عبثا في عبث ، فهل تعتبر اللغة الشعرية التي كتب بها هذا الكلام رمزا ؟ والام ترمز ؟ فمن الرموز ما هو شكلي ، كأن تقول (قلبي تفاحة حمراء ٠٠) ومنها ما هو معنوي كالفقرة الرابعة (السـندباد) من قصيدة (رحلة في الليل) لصلاح عبد الصبور وثالث الرموز ماهو أبسطها كرمز الاحالة ٠ وفيه يحال الشيء الى شيء آخـر شبيه به ، أو بصفة من صفاته ، اخفاء له ، أو لمجـرد استبداله ٠٠٠

وبهذا المستوى يصح لنا أن نتساءل عن ماهية (المسك الممضوغ) و (الاجناس المطفأة) ٠٠ فما المفتاح السري الذي تفتح به مثل هذه البوابات المغلقة ؟ واذا توقفنا قبلا عند صورة منها وهي « المسك الممضوغ » محاولين أن ننفذ منها الى دلالة ما ، وجدنا أننا نلف وندور في حيز الصورة الشائهة ، فالمسك الممضوغ هو المسك الممضوغ ولا شيء آخر ٠ فأين الرمز ؟

وهكذا يتضح لنا أن لغة الرمز ، تلك اللغـة التي كانت مع الانسان منذ الازل ، قد تطور مفهومها في الشعر عبر العصور نتيجة لتطور العقل الانساني ، فانتقلت هذه اللغة من حيز التحدث بلسان الحيوان ومجرد استبدال شيء بشيء آخر في الآداب القديمة الى رمزية الايحاء والتلميح في القرن التاسع عشر ، ومن ثم ارتقت في عصرنا الحاضر الى التعبير بالقناع وحلول الشاعر في الرمز الذي يتخذه وسيلة لاغراضه ويظهر به عبر الكلمات ٠٠٠ اذ للرمز بالنسبة (للشاعر الحديث) أهمية حيوية ، ما دام الكون يخاطبه بلغة الرموز وما دام لكل شيء علاوة على مظهره الخارجي فحوى رمزي ٠

اللاذقية — احسان محمد جعفر

علم اللسان المقارن عند العرب

نذير كسيبي

ان علم اللسان أو ما يسمى علم اللغة linguistics يدرس اللسان البشري دراسة علمية موضوعية ، من خلال الالسنة الخاصة بكل قوم ، وقد تطور تطورا كبيرا فأصبح مستقلا بنفسه ، وتفرعت منه اختصاصات مختلفة ، وعلوم كثيرة منها علم اللسان المقارن :

CompARATiVE linguisTics الذي يعنى بالمقارنة بين اللغات العالمية ، ويبين مدى التقارب أو التمايز بينها، وسمات كل لغة ، وينفذ الى مفردات اللغة لكشف ما أخذته احدى اللغات من لغة أخرى ...

وليس علم اللسان المقارن حديث النشأة ، جديد الميلاد ، فقد كانت للعرب نظرات فيه ، وشارات اليه ، وكتابات متفرقة عنه ، ولا يعني هذا أن ما أتى به العرب كان صحيحا كله ، وقائما على منهج علمي دقيق في مجمله فلئن أتيح للمعاصرين وسائل علمية متنوعة في البحث ، فلم يتيسر ذلك للعرب القدماء ، كانت وسيلتهم — في البحث اللغوي — اللسان ، وتجاربهم قائمة على الملاحظة والمعاينة ، وكان سبيلهم للتفريق بين الاصوات معتمدا على الاذن والسماع ... وفي ظل هذه الحسية والعيانية المفتقرة الى الآلات والوسائل العلمية التي أنتجها عقل أوائل القرن العشرين ، في ظل ذلك جاؤوا بما جاؤوا .

هذا عن الوسائل أما عن المناهج فلم تك متطورة ، كان كتابهم يحوي معارف مختلفة ، ويسرد بطرائق تبتعد عن مناهج المحدثين الذين يقتصر كتابهم على موضوع واحد ويعرض القارىء عرضا علميا ، ومع ضعف وسائل الكتاب العرب ، وهشاشة طرائقهم ومناهجهم في كثير من الاحيان ، فقد كانت لهم مقارنات بين اللغات ، وموازنات بين الالسنة ، بعضها غير علمي ، وآخر يعتمد الطريق العلمي .

أما عن النوع الاول فنلاحظ أن الفراء — مثلا — يفضل العربية على باقي اللغات دون كشف أسباب هذا التفضيل كشفا علميا يستند على الامثلة والنماذج كقوله:

« ووجدنا للغة العرب فضلا على لغة جميع الامم اختصاصا من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها »(١) .

ويقول مكي بن أبي طالب القيسي (نشأ في القرن الرابع الهجري) في كتابه الرعاية :

« ... وهذه التسعة والعشرون حرفا نجدها في كل اللغات الاعجمية الا حرف الظاء فانه للعرب وحدهم ، وقيل ان الحاء أيضا » .

وزعم مكي بن أبي طالب أن الاصمعي كان يقول : « ليس في الرومية والفارسية ثاء ولا السريانية ذاك » .

ومما لا شك فيه أن هذه الآراء لا تنتهج الطرائق العلمية ، ولا تستند الى أصول دقيقة ، وهي ان لم تصدر عن جهل ، فربما كان فيها قليل أو كثير من المبالغة .

أما النوع الثاني من الكتابات اللغوية فقد كان أكثر دقة ، وأعمق علما ، وأبعد عن التعصب ، ويشهد بذلك علماء اللسان الغربيون غير المتعصبين لقومياتهم ، ومن هؤلاء مثلا عالم اللسان الفرنسي — جان بيرو — الذي يذكر في كتابه — علم اللسان — أن الامام ابن حزم الاندلسي (توفي في القرن الخامس الهجري) أكد أن العربية والعبرية والسريانية متفرعة من أصل واحد .

وهذا يثبت أن اكتشاف العلائق بين لغات الارومة السامية ليس جديدا ، وأن هذا الاكتشاف لم يصدره ابن حزم الا بعد النظر والمعاودة والخبرة المباشرة .

ويقول ابن سيده في كتابه « المخصص » :

« ٠٠٠٠ وكنعان بن سام بن نوح ، واليه ينسب الكنعانيون وكانوا أمة يتكلمون بلغة تضارع العربية » ٠

وقد أصدر العرب بحوثا عديدة تتعلق بالمعرب والدخيل ، وأشار بعض علماء المسلمين الى الالفاظ غير العربية في القرآن نحو كتاب ـ مفردات القرآن ـ للراغب الاصفهاني ٠

ولم تقتصر الموازنات على العربية وباقي اللغات السامية ، بل جاوزنها الى المقارنة بين العربية واللغات العالمية المعروفة في عهد الباحثين القدماء ، فقد كان لأبي عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهاني (توفي عام ٣٦٠) هـ عدد من الكتب تتطرق الى ذلك نحو :

(الموازنة بين العربية والفارسية) (٢) وهو كتاب مخطوط منه قطعة في القاهرة ٠

وله أيضا مقارنات أخرى في كتابه (التنبيه على حدوث التصحيف » تتركز على الحروف ، وجودها في لغة وغيابها في أخرى ، ونطقها ولفظها ٠٠ ولكونه فارسي الاصل عربي الثقافة ، ولكونه يعرف أكثر من لغة فانه يأتي بأمثلة دقيقة تدل على وعيه وتدبره ، وتمكنه من هذا الميدان ، واليك نموذجا من مقارناته ص ٣٣ في أثناء كلامه على التصحيف :

« ولو رام انسان من أهل الزمان أن يضع كتابة سليمة من التصحيف ، جامعة لكل الحروف التي تشتمل على جميع اللغات لزمه أن يضع أربعين صورة لاربعين حرفا منها ثمانية وعشرون حرفا ، ما قد رسم بها هجاء العربية التي هي ا ب ت ث ج ٠٠ ومنها أربعة جارية في العربية على ألسن أهلها ولم يخصوها بصورة وهي : النون الغناء، والهمزة ، والواو والياء اللينتان ٠٠ ومنها ثمانية أحرف لا تقع في العربية أصلا ، وانما تقع في الفارسية خاصة ، وفي سائر لغات الامم عامة وهي : ـ الحرف الذي بين الفاء والباء وذلك ان قلت ـ يا ـ يعني الرجل ٠٠

ـ الحرف الذي بين الفاء والباء وذلك اذا قلت ـ لبا ـ يعني الشفة واذا قلت ـ شب ـ يعني الليل ٠

ـ والحرف الذي بين الجيم والصاد وذلك اذا قلت (جراع) يعني السراج ، واذا قلت ـ جاشت ـ يعني الغذاء ٠

ـ والحرف الذي بين الجيم والزاي وذلك اذا قلت (وازار) « واجار » يعني السوق واذا قلت (هوجستان) يعني خوزستان ٠

ـ والحرف الذي بين الكاف والغين وهو في أول قولك ـ كاذر ـ لفارسية القصار أو في أول قولك ـ كج ـ لفارسية الحصى ٠

ـ والحرف الذي بين الخاء والواو في أول قولك « خرشيد » لفارسية الشمس ، و « خرم » لفارسية اليوم٠

ـ والحرف يشبه الواو في ثاني قولك (نو) لفارسية الجديد ٠٠٠

ـ والحرف الذي يشبه الياء في ثاني قولك : (سير) لفارسية الشيعان ٠٠ »

ا ٠ هـ ٠

وقد كان لابي حيان التوحيدي (توفي عام ٤١٤ هـ) نظرات في هذا المجال، اذ يقول في كتابه «الامتاع والمؤانسة» في الليلة السادسة منه : « وقد سمعنا لغات كثيرة من جميع الامم ، كلغة أصحابنا العجم والروم والهند والترك وخوارزم ٠٠٠ فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية ، أعني الفرج التي في كلماتها ، والفضاء الذي نجده بين حروفها ، والمسافة التي بين مخارجها ، والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها ، والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها ٠٠٠٠ » (٣) ٠

يكشف الكاتب أن العربية خالصة مما يشينها بالموازنة مع اللغات الاخرى ، وحين يأتي بمصطلح (نصوع العربية) لا يكتفي به بل يفسره ، ويوضح سمات هذه النصاعة في العربية ٠ فيلاحظ أن العربية مقسمة الى وحدات لغوية يحس السامع استقلال بعضها عن بعض ، كما يرى أبو حيان أن هناك فضاء بين حروف العربية ، وجلي أن هذا ناتج عن النظام المقطعي الذي تقوم عليه لغتنا على نحو يختلف عن الانظمة المقطعية في اللغات الاخرى ٠

ويتميز هذا النظام برفض تلاصق الاصوات الساكنة ـ عامة ـ ويفرض الفصل بين الاحرف الصامتة والصائتة (أحرف اللين) ، بخلاف اللغات الاجنبية التي يتألف مقطعها من عدة أحرف صامتة متلاصقة نحو : (تركيب spring — struc TNRE ربيع) وهذا مما يضعف الموسيقى في اللغة ويؤدي الى صعوبة في النطق ٠

ويبين أبو حيان ـ أيضا ـ أن مخارج العربية متباعدة بالمقارنة مع اللغات الاخرى ٠ وهذا صحيح فنحن نعرف أن سلم مخارج العربية يتميز بالاتساع ، ويستعمل مناطق الفم كلها ، يبدأ بالحنجرة وينتهي بالشفتين ، ويستخدم الناطق العربي مناطق محددة لانتاج الحروف ، ولايستخدم المسافات المتوسطة بين هذه المخارج ، وذلك مما يساعد على تماين الاصوات ، في حين أن هذا الامر غير متوافر في

اللغات الآرية التي تكاد حروفها يلتبس بعضها مع بعض فالتاء والدال الانكليزية مثلا تنطقان من بين اللثة والاسنان نحو (gold) ذهب • ويبين أبو حيان أيضا أن أمثلة العربية أي موازينها متقاربة ومتعادلة في الطول • ونحن نعرف أن أصغر كلمة في العربية تتألف – بشكل عام – من ثلاثة أحرف ، وأكبر كلمة من سبعة أحرف ، والشائع الاستعمال يقع بين الثلاثة والخمسة • ومهما يكن من أمر ، فالفرق بينهما ضئيل ، في حين أن بعض كلمات اللغات الاجنبية تطول اطالة زائدة كالمثال الآتي الذي أذكره على سبيل التذكير لا الحصر : فنظرية تاريخ الفكر في اللغة الالمانية يعبر عنها بكلمة واحدة هي : Geistesgeschichte كما أن بعض كلمات اللغة الاجنبية يقصر جدا مما يحدث تفاوتا كبيرا بين كلماتها في الطول فـ CO في اللغة الانكليزية – مثلا – تعني المشاركة أو الاختلاط نحو التعليم المختلط Co — EDucATioN

ونجد في كتاب المقابسات لابي حيان نفسه خبرا يجيب فيه أبو سليمان المنطقي عن سؤال وجهه اليه أبو حيان :

« ولكن قد سمعنا لغات كثيرة من أهلها •• فعلى ما ظهر لنا وخيل الينا ، لم نجد لغة كالعربية ، وذلك أنها أوسع مناهج ، وألطف مخارج ، وأعلى مدارج ، وحروفها اتم ، وأسماؤها أعم » (٤) •

يوضح المنطقي لتلميذه أبي حيان أنه سمع لغات عديدة من أهلها ، أي انه حين يطلق هذا الحكم فلا يعبر فيه عن جهله ولا يشيعه متعصبا ، فهو فارسي الاصل ، عربي الثقافة • وهذا يؤكد معرفته للغة أخرى غير العربية وهو يصدر آراءه بعد السماع المباشر والتجربة الحية ، وعن طريق هذه المعارف ، وبعد هذا السماع يلاحظ أبو سليمان أن العربية تمتلك حرية في التعبير لا تمتلكها لغات أخرى ، فهي أوسع مناهج ، أي ان طرائق التعبير فيها متنوعة ، اذ تنقسم الجملة العربية – في النظام النحوي العربي – الى نوعين :

جملة اسمية وجملة فعلية ، بينما نعتمد أي جملة في اللغات الآرية على الفعل اعتمادا محوريا أساسيا •

كما أن مكملات الجملة أو ما يسمى بتوابعها أكثر اتساعا في العربية ، فهناك الحال والبدل والمفعول المطلق حتى ان وظائف المفعول المطلق تتجاوز الثلاثة ، ويعوض عن كل هذه الحدود بالظرف فقط في اللغات الاجنبية •

ويظهر أبو حيان على لسان المنطقي أن حروف العربية قادرة على أداء المعاني كلها ، والتعبير عما يفكر به الانسان ، وأنها غنية بمفرداتها ، بما تحويه من ألفاظ تدل على الكليات ، وكلمات تعبر عن المعاني الجزئية الدقيقة •

أخيرا ألا نستطيع أن نرد على المغرضين من اللغويين المستشرقين ومن المستعجمين العرب ادعاءاتهم أن العلماء العرب ليس لهم مقارنات بين اللغات ، وأن العلماء الغربيين هم أصحاب الباع الاول والاوحد في المقارنات ؟؟؟

أليس ما كشف من البحوث القديمة – وفي وهمي أنه غيض من فيض – وما يمكن أن يكتشف من بعد ، يقضي على هذه التخرصات والادعاءات ، ويؤكد أن للعرب نظرات ومناقشات وباعا في ميدان المقارنات اللسانية يتخذ بعضها المنهج العلمي ؟؟

جامعة حلب – نزيه كسيبي

★ يقال في الفارسية اليوم – بازار – ، ويظهر أن مؤلف الكتاب حمزة يكتب الفارسية برسم أقرب الى الفهلوية القديمة منه الى الفارسية الحديثة •

المصادر والمراجع :

١ – القلقشندي ، صبح الاعشى ١–١٤٤

٢ – بروكلمان ، كارل : تاريخ الادب العربي ج٣ – ٦٠

٣ – التوحيدي ، أبو حيان ، الامتاع والمؤانسة تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين طبع دار الحياة ص ٧٧

٤ – التوحيدي ، أبو حيان : المقابسات ، تحقيق : محمد توفيق حسن ، طبع بغداد ص ٣٢٨ •

٥ – الاصفهاني ، حمزة بن الحسن : التنبيه على حدوث التصحيف • تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس • طبع مجمع اللغة العربية بدمشق •

٦ – ظاظا ، حسن ، اللسان والانسان ط دار المعارف ١٩٧٠

٧ – أنطاكي ، محمد : الوجيز في فقه اللغة ، طبع حلب •

٨ – وافي ، علي عبد الواحد : علم اللغة •



قم حيّ يا قلب

عبد الرزاق يوسف

تألق الفجــر مزهــوا فحيــانا ... لولاك تشرين هذا الفجر ما كانا

لولاك تشرين ما انجابت دياجرنا ... عبر الزمــان ولا كانت حــكايانا

لولاك تشرين ما كانت صنــائعنا ... في مرتقى النجم، منها النجم غيرانا

لولاك تشرين ما اخضلت مرابعنا ... والبــدر ما كان في علياه جذلانا

والشمس ما شغفت بالنور يبهرها ... جــاءت تحن الى عليــاك تحنــانا

عنهــا تبلج صبــح بعــد غيبتــه ... في وجهه اليوسفي الحسن قــد بانا

★ ★

حسبي من العز يا تشرين قافيــة ... فيهــا تغرد هــذا العز وانصانا

حررت نفسي من خوف ومن هلع ... فكم قبيلك هذا القلب قــد هانا

وكم قبيلك جل الخطب فانتفضت ... ارادة البعث تردي كــل من خانا

★ ★

تشرين حدث عن التصحيح وارو لنا ... كيف انبرى القائد المقدام ربانا

قاد السفينة لم يحفل بمن غدروا ... فاستوجب الحمد أجيالا لا وأزمانا

وأصبح اليــوم حــق للاحق بــه ... من غيره قد أقام العــدل ميزانا



حمى العروبة من أطماع حسدها   اذ ليس عنها يطيق العمر سلوانا
كم قائل قال لما أن تكفلها   قد قلد الحق من يسمو به شانا
ياعاذلي في الهوى أقصر فلست أرى   مقصرا في الهوى عن شأوه الآنا
انا بنو البعث لا نصغي الى عذل   ولا نميل الى العذال آذانا

★ ★

قم حيي يا قلب في تشرين قائدنا   وأكثر الناس اخلاصا وايمانا
قم حيه اليوم حيي النصر مؤتلفا   وجند البشر أوزانا وألحانا
وسلسل الشعر في سحر يرف على   هو الاحبة نفحا من سجايانا
ان العيون التي كانت تسامرنا   ظلت كما نحن نهواهن تهوانا

★ ★

قد حاول البغي والعدوان عن كثب   تمزيق أمتنا فاختار لبنانا
اذ راح يزرع فيه الموت .. ينشره   في كل ناحية قتلى وأحزانا
كل الفواجع في لبنان مصدرها   حقد لئيم فيا لبنان كم عانى
لم يبق فيه لنار الغدر من حسن   الا تراءى لعين الصبح عريانا

هب الكمي الى اخماد جذوتها   فاستنكر اللؤم في بغداد منحانا

ما شأن يعرب فيهم انهم نفر   قد أصبحوا لطغام الغرب أعوانا

ما شأن صدام في أمجاد أمتنا   ان ينكر الحق فاسأل عنه لبنانا

من باع ايران أرضا كلها عرب   من صير الحق يا صدام بهتانا

★ ★

ليل سنكشف يا صدام غيهبه   مهما بغيت ومهما جئت طغيانا

هولاكو بغداد ما بغداد غافلة   عما يدور ولا شعبي لكم دانا

لن يخضع الشعب مهما دام بطشكم   لن يحني الهام يا سفاح اذ عانا

لن يركع اليوم للجلاد بذبحه   لن يستباح دم الاحرار عدوانا

بغداد ثوري على الاوغاد وانتزعي   فجر الخلاص وسيم النور ريانا

ردي اليك هني العيش لا تهني   قد آن أن تهدمي للبغي أركانا

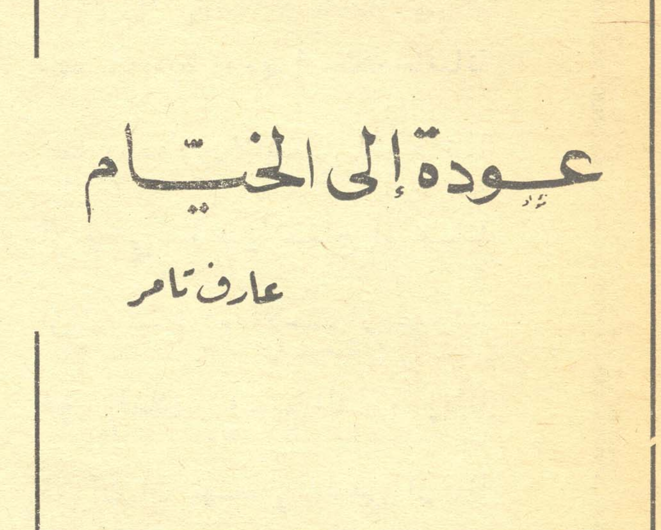
بغداد انتفضي من كبوة فرضت   واستأصلي الشر أنى حل أو كانا

فالبعث نضر دنيا الله نورها   حتى بدت لؤلؤا رطبا ومرجانا

والكل مجتليا نورا ومجتنيا   من روضه الحسن أشكالا وألوانا

فليحفظ الله للاجيال حافظنا   وليغمر الله بالنعمى ضحايانا

●● عبد الرزاق يوسف



عودة إلى الخيام

عارف تامر

لفت نظري أمس مقال نشر في عدد تشرين من مجلة (الثقافة) تحت عنوان : (فلسفة الحياة عند الخيام) للاستاذ فاضل عباس الملا . ولعل ما أورده الكاتب الاديب من آراء وأفكار . شجعني على العودة الى مرابع الخيام الزاهية بالعلم والفلسفة ، والحالية بالادب والمعرفة . وكم هو رائع حقا قطف ثمار الحكمة اليانعة والاستظلال بظلال العلم ، ومعالجة المواضيع الغامضة ، وولوج الكهوف المغلقة التي ظل العلم عاجزا عن اكتشاف حقيقتها ومعرفة كنهها .

أقول :

لم يكن الخيام بنظري ذلك الشاعر (الابيقوري) الذي وهب حياته للذات ، وتسكع على أبواب الحانات وأكثر من ترديد الخمرة والكأس والعود والندمان ، كما انه لم يكن كما وصفوه زنديقا خارجا على السنن والشرائع وملحدا كافرا بالاديان ورسالات الانبياء . بل كان حكيما من حكماء العالم الاسلامي وفيلسوفا متعمقا درس العلوم في مدرسة فكرية كان لها الفضل بتخريج عباقرة العلم وأساطين الفلسفة من لا تزال آثارهم تنبيء بفضلهم على الانسانية ، وانه لمن المؤسف حقا أن تغمط تلك العبقرية الفذة التي سبقت عصرها بقرون ، وأن تدرس دراسة سطحية عابرة من خلال رباعيات لعبت بها أيدي النساخ والمترجمين فجاءت مضطربة ومتباينة يظهر الخيام من خلالها وكأنه مجموعة آراء متناقضة لا ارتباط بينها ولا انسجام ، وكل هذا أوجد نوعا من الارتباك ووقف حائلا وامكان تكوين فكرة صحيحة عنه ، وقد يكون من العسير جدا ايراد الشواهد الكثيرة في الصفحات القليلة ، بالرغم من أن الرباعيات طبعت وترجمت أكثر من ثمانمائة مرة حتى ان عدد النسخ المنتشرة منها في جميع لغات العالم زادت على المائة مليون نسخة .

هو : أبو حفص عمر بن ابراهيم الخيام ، ولعل كلمة الخيام تدل على أنه كان في أجداده من يحترف هذه الصناعة الناجحة التي كان أصحابها في ذلك العصر يعتبرون من الاثرياء ، ومن أعلى طبقة في المجتمع بحيث كانت ثرواتهم تمهد لهم السبيل لتثقيف أبنائهم وارسالهم الى المدارس الكبرى في سبيل التخصص بالعلوم العقلية والفلسفة والادب والمنطق ، وكل هذا ساعد الخيام على الانتساب الى مدرسة (الموفق النيسابوري) أحد أقطاب العلم والفلسفة المشهورين في فارس ، فدرس عليه العلوم مع زميليه نظام الملك وحسن الصباح (مؤسس الدعوة الاساعيلية في قلاع ألموت) . هذا ما ذكره المؤرخ رشيد الدين في كتابه (جامع التواريخ) .

ومهما يكن من أمر فان القرن الرابع للهجرة يعتبر من أزهى العصور بالنسبة للعالم الاسلامي ، فقد فتحت فيه صفحات مشرقة بالنشاط الفكري ، والتعبير عن الحياة العقلية الاسلامية وكل ذلك كان بفضل جهود علماء وفلاسفة عالميين لعبوا دورا مهما على مسرح الحياة الفكرية وسجلوا في صفحات الفكر الانساني أقوم الروائع والبحوث بحيث لا تزال الامم الاخرى تستقي منها ما ينير الطريق ويهدي السبيل . وعند ذكر هؤلاء العباقرة يتبادر الى ذهننا الغزالي والكرماني والسجستاني والرازيين أبو بكر وأبو حاتم والفارابي وابن سينا وجميعهم من أئمة العلم والفلسفة والمنطق الذين نهلوا من ينابيع المدرسة اليونانية الفلسفية والمشائية وما خلفه أفلاطون وأفلوطين وفيثاغوريوس وحكماء الاسكندرية . والخيام الذي رافق نهضة ذلك العصر اعتبر في عداد من ذكرناهم يدلنا على ذلك ما جاء باحدى رسائله عندما تعرض لذكر ابن سينا فقال : (معلمي أفضل المتأخرين الشيخ الرئيس أبا علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري أعلى الله درجته) . وهذا البيان يظهر لنا الخيام وكأنه تتلمذ على ابن سينا وأعجب به واتفق معه بالافكار واستمد منه الآراء .

للخيام مؤلفات عديدة ضاع أكثرها ، اذ أنه لم يعثر له حتى الآن الا على أربعة عشر كتابا ورسالة في الحكمة والعلوم العقلية والرياضية والطبيعية . وعندما نعلم أن الخيام عمر مائة عام ونيف ندخل في حسابنا بأن هذا العدد من الكتب قليل بالنسبة لعمره المديد . فأين اذن ضاعت هذه الثروة النادرة ، وما هو القصد من اتلافها ؟

أما كتبه المعروفة فأهمها :

كتاب الجبر والمقابلة وقد شرح فيه طرق حل مسائل من الدرجة الثانية بواسطة الجبر والهندسة والمقابلة ، وأوضح فيه ثلاثة عشر مسألة من المعادلات ، وله كتاب في العلوم الطبيعية عن الذهب والفضة وقد عين فيه مقدار الذهب والفضة المتخذان من الجواهر ، وله رسالة عن اختلاف الجو في المناطق المختلفة وقد سماها (لوازم الامكنة) ، ورسالة في بيان مصادرات اقليدس ، ورسالة في الوجود ، ورسالة في الكون والتكليف ، وأخرى في المسائل الحسابية المشكلة . واذا علمنا أنه في سنة ٤٩٩ هـ اختير مع الفلكيين المشهورين أبو مظفر الاسفرازي وميمون الواسطي لاصلاح التقويم المعروف بالجلالي نسبة الى جلال الدين ملكشاه السلجوقي أدركنا تضلعه في علم الفلك بالاضافة الى العلوم الاخرى .

انني في هذه الصفحات لا أنفي وجود رباعيات الخيام ولكني اؤكد كما ذكرت بأن أيدي النساخ والمترجمين قد عبثت بها وغيرت وبدلت وأضافت وحرفت منها ، مما لا يصح والحالة على ما ذكر اعطاء فكرة صحيحة عن الخيام من خلالها ، وما دام الخيام نفسه قد اعترف بأنه من تلامذة ابن سينا ومن السائرين على نهجه وتبني أفكاره ، فنستطيع أن نقول ونحن مطمئنين بأن الخيام وابن سينا كلاهما من مدرسة (خلان الوفاء واخوان الصفاء) فهي التي غرست فيهما علم ما وراء الطبيعة ، والوجود المطلق وحقائق الاشياء والروح وعالم المثل والمبدأ والمعاد والفيض والعقل والنفس والوجود الاول ، كما رسمت لهم خطوط المعرفة والايمان بأن الله هو مبدع الوجود وعلة العلل ليس هو ايسا ولا ليسا أي لا نفي ولا اثبات ولا وصول الى المعرفة التامة وتصور الماهية والصفات ولا اطلاق الاسماء أو لا ادراك بالابصار أو التصوير في الظنون .. أما الاسماء والصفات فهي للموجود الاول الذي تسمى (بالعقل) فمنه فاضت جميع الموجودات وأولها العقل الثاني واهب الحياة للعوالم . ان جميع هذه المبادىء برزت واضحة في رباعيات الشاعرن الاسماعيليين (ناصر خسرو) و (خاكي الخرساني) وكلاهما من فارس ، أما حافظ شيرازي وميرزا عباس خان فانهما عندما استضافا روح الخيا ملم يستهوهما سوى الناحية الخمرية والجمالية فقط .

أجل ... قد يكون الخيام أراد اصلاح المجتمع الغارق في الظلام وقد يكون ثار على النظم السائدة في ذلك العصر البعيد ، وقد يكون من القائلين بوجوب

التوفيق بين الفلسفة والدين ، وقد يكون أيضا وأيضا قد تأثر بمبادىء وأفكار القرامطة الثورية كل هـذا ممكن ووارد · أما عن وجود صلة روحية بينه وبين المعري فهذا مما لا شك ولا ريب فيه ، يعزز ذلك قول الخيام :

فكرت في الدين أقـوام كما

حار بين الشك والقطـع فريق

فاذا الهـاتف يدعوهـم أيـا

بله لا هـذا ولا ذاك الطريق ؟

وقول المعري :

في اللاذقيـة ضجـة   ما بين أحمد والمسيح

هذا بناقوس يـدق   وذا بمـأذنة يصيح

كل يعـزز دينـه   يا ليتشعري ما الصحيح ؟

وقوله أيضا :

أيعمى عن الحق كل البشر ؟

ويجب أن لا يسهى عن البال بأن من يدرس الرباعيات دراسة موضوعية يرى فيها أفكارا للخيام تسمو به وتدنيه من مراتب العارفين ، وفي هذه المناجاة يتجلى ذلك :

الهي ومجرى كل حي وميـت

ورب السما ذات النجوم الطوالع

لئن كنت ذا سـوء فانك خالقي

وما هو ذنبي ان تكن أنت صانعي

وما أروعه حين يكشف عن نفسه ويشكو عجزه عن جلاء أسرار المبدأ والمعاد وهو السر الالهي المغلق أو الغيب الذي لم يطلع عليه أحد :

حل فكري في الكون كـل معمى

من حضيض الثرى لأوج النجوم

قد تبينت كـل فـكر وسـر

فيه الا سـر الردى المحتوم

أما خمرة الخيام فاني أجلها عن خمرة الحانات التي تذهب بالعقل والحجى ··· انهـا بنظري الخمرة التي تسكر الروح وتنير طريق المعرفة وتوصـل الى السعادة السرمدية وخاصة حين يتعاطاها مع ندمان صفت نفوسهم وتجردوا عن الحس والشهوات ··· انهم خلان الوفاء كما يسميهم :

أرى كل خـلان الوفاء تفرقوا

فبين صريـع للردى وقتيـل

شربنا شرابا واحـدا غير انهم

به ثملوا من قبلنـا بقليـل

وأخيرا :

فان الخيام قضى قسما من حياته في بلخ ثم انتقل الى مرو حيث عمل في بلاط الملك سنجر السلجوقي ، ومنهـا ذهب الى اصبهان حيث التحق ببلاط الملك ملكشاه أيضا وهذا يعطي الدليل على أنه كان نديما للملوك وسياسيا بارعا تتهـافت الملوك على التزود بنصائحه وآرائـه واستشاراته ، وفي آخر أيامه عاد الى مسقط رأسه ينسابور حيث ظل فيها الى أن أدركته الوفاة ، وتذكر مصـادر تاريخية عديدة بأن المؤرخ المشهور البيهقي زاره فيهـا سنة ٥٠٧ هـ ، كما التقى به في بلخ المؤلف العالم نظامي العروضي وذلك سنة ٥٠٦ هـ ·

وذكرت مصادر تاريخية أيضا أن الغزالي قد عقد معه عدة اجتماعات ، ولما لم يستطع زعزعته عن عقيدته تركه ومضى في سبيله هكذا روى المؤرخ الشهرزوري في كتـاب (نزهة الارواح) وذكر القفطي بكتابه (أخبار العلمـاء بأخبار الحكماء) بأن فلسفة الخيام قد نقلها بعض أقطاب الصوفية وهم يتحاضرون بها في خلواتهم ، وأما المتصوف نجم الدين الرازي فأشار اليه في كتابه (مرصاد العباد) بأنه فيلسوف « دهري طبيعي » وبهذا نفى عنه نسـبة الصوفية التي خلعها البعض عليه ·

هذا غيض من فيض ، وقليل من كثير عن الفيلسوف الخيام ورباعياته أوردناه هنا للتذكير ولعل ما ذكرنـاه يكون مدخلا للبحث · فالخيام موسوعة معرفة ومدرسـة فكرية قائمة بذاتها وجديرة بالبحث والدراسة على ضوء الواقع والموضوعية والحقيقة ·

رجـــــــاء

يا رجائي وسلوتي وهنائي — ورجائي اذا اجتواني الرجاء

يا عزائي ان هدني اليأس والحزن وأهوى على ربيعي الشتاء

أي روح مجنح عبقري — أنت ٠٠ يلهو في مقلتيه الضياء ؟

أي فن على شفاهك هذا — حدثت عنه بسمة غراء ؟٠

أنت ، من أي العوالم أقدست لكوني ؟٠ هل أرسلتك السماء ؟٠

★ ★

كنت أمشي ومهجتي تتشظى — في مدى الوهم والرياح عواء

أحمل الجرح والشعاع ارتعاش — في فؤادي والامنيات هراء

وتغنيت للسراب فضاعت — أغنياتي ، وقهقهت أصداء

وتشكت قيثارة في عروقي — وجراح تململت ٠٠ ودماء

كم تمزقت في الحرائق أبكي — من قنوط وليس تجدي البكاء

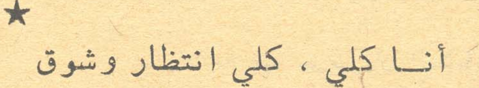
كم تناهى الى السماء ندائي — وكياني كم لج فيه الدعاء

يا ابنة الروح لا تطيلي اغترابا — أمنياتي قد أزهرت ٠٠ والسماء

أقبلي يا سحابة العطر والآمال والشوق ٠٠ حان حان اللقاء

أقبلي لا من سراب ووهم — واهطلي في فالرمال ظماء !٠

أقبلي أنت ينبعث كل نضر — في رمالي ٠٠ وتنبثق أشياء



★ ★

أنا كلي ، كلي انتظار وشوق — وابتهال ٠٠ فأنت أنت الرجاء !٠

●● رضوان الحزواني ـ حماة

أوديك اسحاقيان

الياس غالي

اويديك اسهاقيان شاعر ارمني كبير ولد في ارمينيا السوفيتية عام ١٩٧٥ ، وقد أقيمت له حفلات تكريمية بمناسبة الذكرى المئوية الاولى لميلاده في روسيا وارمينيا حتى في حلب ودمشق · وقد كان لي شرف الاشتراك في تكريمه بكلمة القيتها في الاحتفال الذي جرى لهذه الغاية بتاريخ ٣٠-١١-١٩٧٥ في مقر « جمعية ابي العلاء المعري الثقافية » بدمشق · وقد تلت هذه الكلمة دراسة واسعة لبيان علاقة اسهاقيان بأبي العلاء المعري في كتابه « عروج أبي العلاء » ، ألقيتها كمحاضرة في المركز الثقافي الروسي بدمشق في ٢٠ ايار ١٩٧٦ ·

ولما كان اسهاقيان شاعرا كبيرا وأديبا قصصيا ظريفا وعميقا ترجمت عن الفرنسية بعض قصائده وقصتين له لم يتضمنهما كتاب الاستاذ نزار خليلي « باقة من شعر ونثر اويديك اسهاقيان » فرغبت في تقديمهما مع قصيدتين قصيرتين الى قراء مجلة « الثقافة » الراقية ·

الياس

موت البلبل

حدثني صديق فارسي قال :

قصة وقعت منذ سبع أو ثماني سنين ، لكنها نقشت في ذاكرتي نقشا عميقا كما لو انها جرت امس · وكلما أفكر فيها اضطرب ·

كنت في حديقتي فجر يوم من أيام شهر أيار اللطيفة · وكانت أغصان الشجر والعليق تميس ميسا غير ملحوظ في الضياء الذي يسبق بزوغ الشمس ، وقطرات الندى لم تتلألأ بعد تلألؤ الالماس على وريقات الورود ·

ورأيت على فروع وردة خمسة بلابل : أنثى وحولها ذكور أربعة يلعبون · وكل منهم ، وبدوره ، كان يجهد نفسه ليفتن تلك الرفيقة ويكسب قلبها ·

مباراة حقيقية جرت بين البلابل ، اذ أن كلا منهم كان يحاول بتغريده أن يتفوق على اقرانه · وتتابع التغريد · وكل تغريد امتاز عن سابقه ·

وبعد ان أصغت الانثى الجميلة بانتباه الى تغريد كل من عشاقها الاربعة لم تجد ، دون شك ، في تغريد احدهم ما يلائم ذوقها ، لان نظراتها الساهية كانت تنتقل من واحد الى آخر · ولم يكن في وسعها ، دون ريب ، ان تهب قلبها الى أي منهم ·

وفجأة ، سمع صوت رخيم لبلبل آخر كان على شجرة رمان مجاورة مختبئا بين زهورها القرمزية • فالتفتت الجميلة فورا نحو المغني العجيب •

لقد سنحت لي في حياتي فرص عديدة لسماع مالا يحصى من الانغام والاغاني الممتعة ، التي كان يغنيها العشاق الملهمون تحت نوافذ عشيقاتهم وفي الصباح • لكن

الذي سمعته في ذلك اليوم يفوق كل ما أتيح لي سماعه حتى ذلك الحين • فترديد الالحان بسرعة ، وذلك التطريب والتنغيم المعبر عنه بألف شكل مختلف كان من البدائع •

ففي الحديقة ، التي كانت تتضوع منها روائح الزهور المسكرة ، كان يسمع غناء قلب دمره الحب • غناء، ما زجته دموع مريرة ، يعبر بالتناوب عن حزن لا عزاء له ، وعن حنان غير متناه • وهذا الصوت العظيم وهذا الاطار السحري كانا خليقين بقصة خرافية •

وفجأت طارت الجميلة وحطت بالقرب من المغني ، وأخفت بحنا نمنقارها تحت جناحه •

وما عتم البلبل أن سكت • وعندئذ التصق منقاره بمنقارها بين زهور شجرة الرمان الحمراء ، واستسلم الطائران السعيدان الى تلامسهما اللذيذ • كل شيء كان مؤاتيا لسعادتهما، ولم يلاحظا حتى ذهاب العشاق الاربعة، الذين مضوا يجرون ذيول خيبة الامل والحزن •

وما لبث البلبل المختار ، سعيد الحظ ، أن عاد الى تغريده وكله نار ولهيب ، وكله لحبه وغيرته ، وقد ضمن كل علامة موسيقية فلذة من قلبه • والنشيد الذي يمجد السعادة والفرح وانتصار الحب كان يرتفع نحو السماء مثل نافورة ماء مشعة تحت أشعة الشمس •

كان يبدو ان عيد الحب هذا لن ينتهي ابدا • ولكن فجأة انقطع التغريد وسقط المغني مصعوقا كأنه حجر •

فهرعت مشدوها نحو الشجرة • وماذا رأيت ؟ رأيت البلبل المسكين ، رأيت عينيه نصف مطبقتين ، وخيطا رفيعا من الدم يسيل من منقاره الطري جدا • أما رفيقته فقد نعقت نعيقا حزينا وأخذت تحوم يائسة فوق جثة ذاك الذي ضحى بنفسه ليسعد بأن يحب ويحب •

جنيف ١٩١٩

ولقد كان اسهاقيان شاعرا عاطفيا فكتب من درسد بالمانيا عام ١٨٩٣ قصيدة بعنوان :

الى أمي :

آه ! أنا بعيد عن وطني

هائم مسكين ، بلا مأوى •

وأمي الحبيبة بعيدة •

هجرني النوم والسرور •

ايتها الطيور العزيزة القادمة من الجبال

هل رأيتم أمي ؟

ايتها النسائم الجديدة الآتية من البحار

هل تحملن لي صوتها الغالي ؟

جاءت الطيور والنسائم

فلامستني ومضت

قلبي حزين يلتهب

لامسته ومضت

بنفسي عميق الحنين

الى وجهك يا أمي

آه ! أيكون لقاؤك يا أمي حلما من احلام الليالي !

كم أود عناقك ، وضم قلبك

وتقبيل عينيك الناعستين

وأن أمس روحك بحرارة

وأنا أبكي وأضحك يا أمي !

درسد ١٨٩٣

عمر الخيام :

في بستان مليء بالزهور الزاهية الالوان ، أراد بلبل خراسان ، عمر الخيام ، ذات يوم ، ان ينسى جميع المظالم وتفاهة الاشياء الارضية ، فأخذ يحتسي الخمرة من كأس من فخار •

وفجأة هبت على البستان ريح عاتية شيطانية • وعصفت الزوبعة في جمع الاتجاهات محطمة في طريقها كل شيء •

واذا بالاعصار يلف الخيام البائس فيعلق ثوبه بالكأس الفخارية فيسفح على الارض الرحيق الفوار •

وتابعت الريح طريقها وهي تزمجر وتلوح بذراعيها وتصفر لحنا مثل متنزه يجوب الشوارع ٠

فاحتدم الخيام غيظا ، وأخذ ينظر مرة الى الريح الذاهبة بعيدا ، ويتأمل أخرى راضيا الارض الجافة تبتلع ماء الحياة مثل سقاء للخمر لا يمكن اصلاحه ٠

ثم رفع شاعر بستان خراسان الدمث عينيه الى السماء وخاطب الله قائلا :

لقد حطمت يا الله
كأس خمرتي
وأغلقت يا الله
باب سعادتي
ما من أحد ، يا الله
يتصرف هكذا
ألم تشرب يا الله
حتى فقد الحجى ؟!

وسمع الله تذمر الخيام الصاخب وتأنينه ، فغضب وانفجر قائلا : كيف يجرؤ هذا الغاني الحقير على توبيخي ومؤاخذتي !

وعاقب الله الخيام فورا بأن جمد لسانه كقطعة من رصاص ٠ ففقد الشاعر العظيم نعمة النطق بصورة طبيعية ٠

وبعد فترة من الزمن عاد عمر الخيام الى صوابه وأدرك أنه عوقب عقابا صارما فندم وخاطب الله وهو يتلجلج :

من على هذه الارض لم يأثم
اجبني يا الله !
من يعيش في الدنيا يا رب
ويستطيع أن لا يخطىء
اذا كنت من أجل ما فعلت أو قلت
لا أحظى بغفرانك
فما الفرق بيننا ؟
أجبني ، يا الهي !

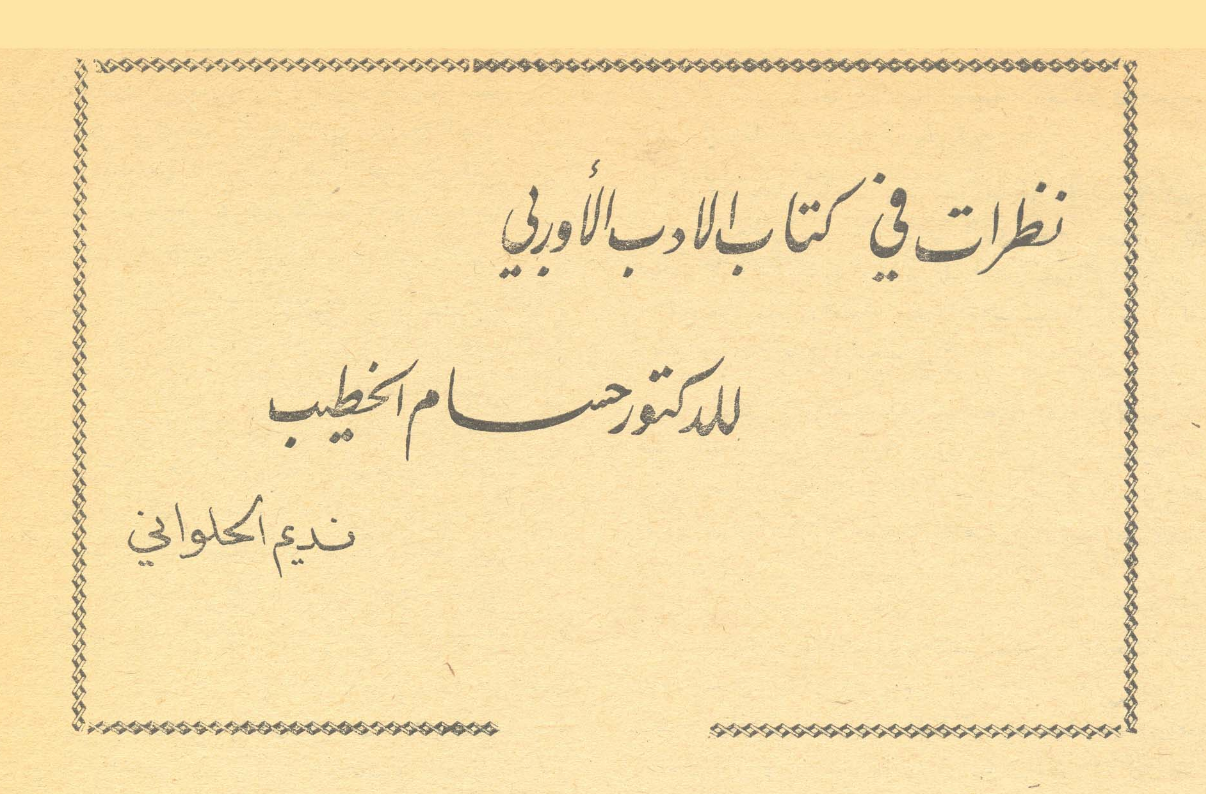
ولما رأى الله ندم الخيام وسمع كلماته المشبعة بالتعقل ، تعجب كثيرا : هذا الرجل الغاني كان يتكلم بحكمة وانصاف ٠

وأسف الله للعقاب القاسي الذيكان أنزله بالشاعر فأشفق عليه ورحمه وأعاد اليه كأسه مترعة بخمرة بلون العنبر ، ورد اليه نعمة النطق وأسبغ على كلامه حكمة أكبر من ذي قبل ٠

١٩٠٩

وطني

أمضني الحنين اليك يا بلادي
رحالة أنا في ديار الغربة
أصبحت ضائعا يتيما
أتوق أن أسمع كلمة ود
قلبي هناك ، حيث أقام شعبنا
تماثيل مجده التليد
حيث يغني بنفس الايمان
ملاحمه العظيمة عبر القرون
سأعود اليك يا جبالي
سأعود يا عشي الحبيب
وسأهب الوطن أغلى ما عندي
حياتي المقرونة بالحب



نظرات في كتاب الأدب الأوربي

للدكتور حسام الخطيب

نديم الحلواني

مقدمة ــ اذا كنا نريد للادب أن يكون رسالة فنية انسانية يتجاوز الحدود الاقليمية والقومية ليصب في المحيط الهدار الذي يسمى بالادب العالمي ٠٠٠ واذا كنا نريد بالفعل أن نشيع روح العالمية والانسانية وأن نتخلى عن روح الفردية والانعزالية ٠٠٠ اذا كان ذلك فلا بد من معارف جديدة وانطلاقات حديثة في الآداب الاوربية والغربية على كافة الاصعدة شكلية أو مضمونية ٠

لقد تسارعت قافلة الادب العالمي بشكل كبير وكلما ازداد هذا التسارع ازداد الظمأ لمعرفة هذه الآداب ٠ واذا كان البحث في مثل هذا الموضوع يتطلب جهدا شاقا ومضنيا وهو أقرب الى الاستحالة فاننا من خلال هذا المعيار النقدي لا نطلب من الباحث أن يتصدى للتأريخ الادبي الذي هو من اختصاص المؤسسات العلمية ذات المستوى العالي بل ينبغي من وراء ذلك اعطاء عرض تاريخي مقتضب للسمات الرئيسية لتطوير الآداب الاوربية والغربية ٠

ان التكوين الادبي في ظل الركب المعاصر يتأبى على الانغلاق ويظمأ الى الانفتاح العالمي سواء من الناحية الفكرية أو الاجتماعية أو السياسية ٠٠ ذلك لان الجوانب البيئية التي صهرت هذا التكوين الادبي لم تعد جوانب بيئية ضيقة وانما تجاوزت الزمان والمكان وأصبحت تطل على عالم واسع الآفاق ممتد الجذور ٠٠٠

الموضوع ٠٠٠ ومع ندرة البحوث التي تصدت للاداب الاوربية لتعرف ماهيتها وسماتها وملامحها من خلال المذاهب والمدارس الادبية التي نشأت فيها يطالعنا بحث عن :

« الادب الاوربي : تطوره ونشأة مذاهبه » وهذا البحث للناقد الدكتور حسام الخطيب رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة دمشق ٠٠ وقد جاء هذا البحث في بيئة أدبية كادت تفتقر لمثل هذه الدراسات الاوربية وهو ــ البحث ــ لم يمض على ظهوره الى عالم الادب سوى فترة قصيرة من عمر الزمن ٠

ما هو الادب الاوربي من منظار الباحث الدكتور الخطيب ؟ وما هي البحوث التي وردت في ثنايا الكتاب ؟٠٠

يقسم الكاتب الخطيب الكتاب الى سبعة فصول وذلك من خلال مقدمة يوضح فيها كيفية البحث وجوهر هذه الفصول ٠

يبدأ الفصل الاول بتبيان العلائق بين الفلسفة والادب ٠٠٠ ومن خلال ذلك يتوصل الناقد الخطيب الى مفهوم التواصل في الادب الاوربي ومن ثم يعرج على الانواع الادبية ومفهوماتها في هذه الاداب ٠

أما الفصل الثاني فيخصصه الباحث الخطيب لدراسة الادب اليوناني القديم موضحا المدارس القديمة التي نشأت

فيه مثل مدرسة أفلاطون والمدرسة الرواقية والمدرسة الابيقورية ... ومن ثم يخلص الباحث الى الملامح العامة في الادب اليوناني وذلك من خلال المسرحية اليونانية التي كان فرسانها أسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدس وأريستوفان .

وبعد أن ينتهي الناقد من الادب اليوناني يلتفت الى الادب اللاتيني فيتحدث عنه مبينا سماته وأبرز الاعمال فيه ... على أنه يركز على عمالقة الادب في هذا العصر أمثال فرجيل وأوفيد وفي الفصل الثالث يبحث الدكتور حسام الاداب الاوربية في العصور الوسطى ويوضح سماتها في تلك الفترة ويبين لنا كيف انصبغت الاداب الاوربية في هذه المرحلة بالسمات المسيحية وتكلم الباحث أيضا وفي الفصل نفسه عن الشعر الغنائي التروبادوري وبحث في التأثيرات الاسلامية في الملهاة الالهية عند دانتي مفخرة ايطالية .

على أن المعنى الانساني للاداب الاوربية لا يتضح الا في عصر النهضة وهذا ما تحدث عنه الكاتب في الفصل الرابع مبينا المعنى الانساني من وراء أدب عصر النهضة .. هذا المعنى الانساني أبرزه الباحث من خلال عرضه للادب الايطالي ثم الادب الفرنسي فالادب الاسباني وأخيرا الادب الانكليزي الذي توج بالظاهرة الشكسبيرية .

وقد أسهب الكاتب في الفصل الخامس بالتكلم عن المدارس الحديثة بادئا بالاتباعية الجديدة في القرنين السابع عشر والثامن عشر وقد عرض لنا هذه المدرسة من خلال مقدمة فكرية قامت عليها تلك المدرسة .. وشرح الباحث سمات هذه المدرسة بكل من فرنسا وبريطانيا وبعض الاقطار الاوربية الاخرى .

ويأخذ الفصل السادس حيزا كبيرا من البحث وفيه عرض الناقد الخطيب الاداب الاوربية الحديثة وقد بنى حديثه هذا من أرضية فكرية انبثقت عنها تلك الاداب الحديثة .. هذه الارضية الفكرية كانت تتمثل بالليبرالية والمثالية والروحية والوضعية والماركسية والوجودية ثم الفلسفة التحليلية المعاصرة ... وبعد ذلك يأتي الباحث الى الحركة الرومانتية .. ويعطينا ملامح هذه الحركة من خلال دراستها في بيئاتها المتعددة (في بريطانيا وفرنسا وألمانيا) .

وينتقل الباحث بعد ذلك الى الواقعية وبعض التيارات الاخرى ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر .. وبعد أن يفرغ الخطيب من هذه التيارات يفصل القول في الادب الفرنسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عارضا الرواية التي كانت فيه ثم القصة القصيرة فالشعر ويتبع ذلك بالبرناسية وأخيرا الرمزية .

وينقلنا الباحث بعد ذلك الى الادب الانكليزي في العصر الفكتوري ذلك الادب الذي توج بمرحلة تشارلز ديكنز . ويلتفت بعد ذلك الى أدب الشمال الاوربي الذي انتقى منه مثلا واضحا هو الكاتب الواقعي (ابسن) ومسرحيته (عدو الشعب) .

وينهي الدكتور الخطيب فصله هذا بالادب الروسي حتى آخر القرن التاسع عشر متحدثا عن الفترة الذهبية التي وصل اليها الادب الروسي عن طريق كتاب عظام أمثال غوغول التي خرجت القصة الروسية من معطفه وودستويفسكي وتولستوي .

وفي الفصل السابع والاخير يتحدث الباحث عن الاداب الاوربية في القرن العشرين تلك الاداب التي نشأت تحت تأثير التيارات الفكرية ، كما أنه تحدث عن الواقعية الاشتراكية وبين سماتها وملامحها وأشهر كتابها أمثال (مكسيم غوركي) الذي وضح الباحث أسلوبه ومنهجه من خلال روايته (الام) ويختم الباحث هذا الفصل بالتحدث عن الادب المعاصر في المجتمعات الرأسمالية ويعطي السمات العامة التي تميز بها هذا الادب عن سواه كالنسبية والتحرر من القواعد والرفض والصدق والاهتمام باللاشعور والانسان الداخلي والاشكالية والمصير الانساني والاغتراب الروحي ...

هذا ما تضمنته الصفحات مع اجتزاء في القول وتلخيص في البحث ... والحقيقة أن الباحث الخطيب لم يقصد بكتابه هذا أن يكون بحثا مفصلا لعقائد الاوربيين ونظامهم الاجتماعي وانما قصد أن يطوف بالقارىء في جولة سريعة على نواحي هذا الادب مستخلصا منها مجمل ما يتعلق بعقائد الاوربيين ونظامهم الاجتماعي ومذاهبهم الادبية .

وقد آثر المؤلف أن يعطي القارىء في هذا الكتاب فكرة مجملة عن عناصر الموضوع كله حتى يسهل عليه متابعة البحث والافادة من الاداب الاوربية فجعل هذا الكتاب تعريفا مجملا بالاوربيين وحضاراتهم وآدابهم وعقائدهم ونظمهم . وقد وقف الكاتب على دراسة المراحل التي اجتازتها الاداب الاوربية مبينا خواصها وأغراضها وفروعها وأهم ما وصلنا من آثارها في كل مرحلة ومترجما لاشهر أدبائها ومشيرا كلما سنحت المناسبات الى أهم ما ترشد اليه بصدد مذاهب الاداب الاوربية وما كانوا يسيرون عليه من نظم فكرية وأدبية ... وقد درس الباحث في كتابه أقدم

مرحلة للاداب الاوربية ثم المرحلة الوسطى ودرس أخيرا الاداب الحديثة في القرن العشرين ولم يأل الباحث الخطيب جهدا في كل فصل من فصول الكتاب من أن يجعله وافيا بالغرض الذي قصد اليه وأن يعالج موضوعاته في صورة يفيد فيها الباحثون في الادب كما يفيد منها الباحثون في شؤون الفكر وضروبه .

لقد امتد البحث على مساحة زمانية ومكانية كبيرة وهذا ان دل على شيء فانما يدل على تعمق الباحث لهذه الرقعة المكانية ولهذه المسافة الزمانية .

ان البحث الادبي الاوربي على مدى هذه الفترة قد أعطى بصيغة جذابة لا تجعل القارىء يحل من السردية والتقريرية الادبية الكثيفة وذلك لان الكاتب قد عرض لهذه الحدائق الادبية من خلال منهج جديد في البحث . أضف الى ذلك تحدثه عن المدارس الادبية التي كانت تمثل حركة اجتماعية في فترة معينة . لذلك كان المنهج أو الاطار الادبي الذي صبت فيه تلك المادة الادبية عبارة عن حركات أدبية ومدارس ... هذه الحركات وتلك المدارس كانت ثمرة تطور فكري واجتماعي واقتصادي لحقبة معينة من الزمن . حتى أن التحليل والنقد الادبي للروايات جاء على هذا النمط ... اذ ان الكاتب كان يعطي النص الادبي (الروايات والقصص) روح العصر الذي نشأت ونبتت فيه خذ رواية (دون كيشوت) مثلا ترى أن الناقد الخطيب قد حاول أن يحللها ويعطيها أبعادها النقدية من خلال منهج فلسفي (فكري) واجتماعي متولد من العصر نفسه عصر الفروسية والشهامة وعصر الثورة على الفروسية وعاداتها وتقاليدها . وهذا يدل على أن الناقد الخطيب ينتمي الى جيل النقد المعاصر ذلك النقد الذي يحاول أن يدخل في البناء الفني أو العمل الروائي من خلال باب العصر الذي أنبت ذلك العمل الفني أو الروائي فيه .

لقد عرض الباحث الخطيب قصة الادب الاوربي الذي انتقلت بعض بذوره الى الشرق في ركاب السلطان السياسي العربي الذي انتقل الى الاندلس في ركاب المدارس الادبية . انها قصة العقل الاوربي الذي أبدع حين أتيح له مناخ العطاء فأعطى أروع ما يمكن أن يعطيه عقل متفتح نشيط . لقد أعطى (فاوست) عدو الشعب (الغثيان) الحرب والسلام (الام) (يوليسيز) لقد أعطى (غوته وابسن وجان بول سارتر وتولستوي ومكسيم غوركي وجيمس جويس) .

ان الباحث الخطيب رمى الى اعطاء ثقافة فكرية وأدبية ترمي الى تركيز رؤية الاختصاصي والى سد الثغرات والفجوات في ثقافة القارىء غير المختص فيما يتصل بمسيرة الادب الاوربي وتطوره وذلك منذ عصر الاغريق حتى القرن العشرين . هذه المسيرة حاولت أن تركز على نشأة المذاهب الادبية الاوربية وأن تبرز ملامحها ولاسيما الكلاسيكية والكلاسيكية الجددة والرومانتية والرمزية والداوية والسريالية والوجودية والواقعية الاشتراكية .

وبعد اعطاء هذا الشيء النظري حاول الباحث الخطيب أن يركز على تحليل أبرز الروائع الادبية ولاسيما (الالياذة والاوديسة والكوميديا الالهية ودون كيشوت وهاملت وعدو الشعب والحرب والسلام والام) .. وبهذا يكون الناقد الخطيب قد ضرب أروع مثل في التأليف الادبي في هذا الباب . ذلك أن الباحث قد ركز على النظرية ثم أردفها بالنقد التطبيقي .. وهذه معالجة معاصرة للابحاث الادبية الاوربية ... لقد أعطى المؤلف النظرة الادبية المحضة ثم أعطى بعد ذلك المثل التطبيقي الملموس ومن النظرة والمثل كانت الدراسة الادبية الاوربية عبر مسيرة التاريخ . هذه السمة الاسلوبية تطبع أغلب مؤلفات الباحث الخطيب وهذا ما نلاحظه في كتابه (سبيل المؤثرات الاجنبية في القصة السورية الحديثة) .

وما نأخذه على المؤلف هو الكثافة الفكرية والاسلوبية المركزة الدقيقة .. فقد كان البحث مكثفا الى بعد التكثيف وكان مركزا الى بعد التركيز بحيث جاءت المواضيع مضغوطة وكانت بحاجة الى تفصيل ...

وسوف يبقى لهذا البحث الاثر الفعال في أدبنا العربي ذلك لان البحث في الاداب الاوربية قليل في الدراسات العربية . ونأمل أن تزداد مثل هذه الدراسات مع انبثاق النهضة الجديدة .

نديم الحلواني – دمشق

على هامش عدد اللغة الممتاز لمجلة المعرفة

كرست (المعرفة) عددها الممتاز ١٧٨ـ كانون الاول ١٩٧٦ لمعالجة المشكلة اللغوية تحت شعار « اللغة العربية والعصر » وقد جعل الاستاذ صفوان قدسي رئيس التحرير الشعار المنوه به عنوانا لمقاله الافتتاحي الذي حرص على أن يكون مدخلا لمعالجة المشكلة المطروحة وبوصلة موجهة في آن واحد للباحثين الاخرين ٠

لقد أغراني الشعار المثير بقراءة هذا العدد من (المعرفة) من ألفه الى يائه قراءة مستأنية ، فاحصة وهادفة مدفوعا برغبة لا تقاوم في الحصول على ما أسماه الكاتب « الخارطة التفصيلية للمشهد اللغوي العربي المعاصر » من خلال البحوث التي تضمنها٠ وقد رأيت من واجبي ـ كواحد ممن يهمهم أمر اللسان العربي ـ أن أسهم في الحوار الذي توقعته (المعرفة) فكان هذا المقال الذي ستتبعه مقالات متممة له أو متفرعة عنه ٠ لتقييم المحاولة التي تكمن وراءها ولا شك ، رغبة صادقة وجادة في خدمة اللغة العربية عن طريق السعي لتطويرها تطويرا ايجابيا لا يفقدها شيئا من خصائصها ومقوماتها الاساسية ٠ ولا يضير هذه المحاولة أن تأتي ناقصة وغير وافية بالغرض اذ يكفيها فضلا أنها فتحت بابا عريضا لحوار بناء يسهم فيه من يجد في نفسه الكفاءة للادلاء برأيه حول الموضوع الخطير المطروح للمناقشة والذي قال عنه أكثر من باحث : انه يمس صميم وجودنا القومي ٠

هذا ولا بد لي من الاشارة مسبقا الى أن بحثي في هذا المقال والمقالات التي قد تليه سيقتصر على الجوانب التي لها مساس مباشر بالمشكلة اللغوية التي خصص عدد المعرفة لمعالجتها وعلى نقد الحلول التي اقترحها بعض الباحثين ٠ وفي جميع الحالات أراني مطالبا باعطاء رأي صريح في المحاولة وفي مدى النجاح الذي حققته في سعيها لرسم خارطة تفصيلية للمشهد اللغوي العربي المعاصر وما اذا كانت أبحاث العدد قد نجحت فعلا في تغطية الجزء الاعظم من المشكلة المطروحة حسب اعتقاد المشرفين على المجلة !٠

اذا صح المثل القائل : المكتوب يقرأ من عنوانه ٠ ـ وهو في الغالب صحيح ـ يكون الحديث في هذا المقال عن الخطوط العريضة لافكار رئيس التحرير التي أوردها في مقاله الافتتاحي هو في الواقع تلخيص لمجمل المحاولة في خطوطها العريضة ٠

يقول الاستاذ القدسي :

ان العلة ليست في اللغة ، وانما العلة في الذين يتعاملون مع هذه اللغة . وما أكثر الذين يوافقونه على الشق الاول من كلامه هذا — وأنا واحد منهم — فالعلة ليست في اللغة العربية قطعا ، وان وجد من يقول بخلاف ذلك فهو — من وجهة نظري — لا يعدو أن يكون واحدا من اثنين :

١ — اما جاهلا بأسرار هذه اللغة الاعجوبة التي وصفها القرآن الكريم بالبيان في العديد من آياته ومنها قوله عز من قائل :

أعربي وأعجمي ؟ لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين . والتي قال بلسانها شاعر النيل حافظ ابراهيم :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟

ومثل هذا اللسان لا فائدة من البحث معه ولا جدوى في الرد عليه ولعل عذره الوحيد يكمن في الحكمة القائلة :

« الانسان عدو لما يجهل » .

٢ — واما حاقد على كل ما يمت الى العرب والعروبة بصلة ، قد أعمى الحقد الاسود بصيرته فحال بينه وبين معرفة الحقيقة ولم يهتد بالطبع الى وجه الصواب في حكمه الجائر على اللغة العربية ، فراح يرميها بكل نقيصة . وقديما قيل : « آفة الرأي الهوى » . وما أشد انطباق قول الشاعر على مثل هذا المريض المبتلى بالعمه :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

أما القول بأن علة اللغة العربية في الذين يتعاملون معها فلا يرقى الى منزلة الاحكام الموضوعية التي يصعب تفنيدها واثبات عدم مطابقتها للواقع .

لا شك في أن الكاتب أراد بقوله هذا أن يحصر أسباب الازمة اللغوية التي يعانيها المثقفون العرب في هذا العصر بهؤلاء المثقفين أنفسهم وبخاصة طبقة الادباء — وهو واحد منهم — ولست أشك في أنه لا يهدف الى التنديد بهم بمقدار ما يهدف الى اثارتهم وحضهم على مضاعفة اهتمامهم باللغة التي هي في الواقع زادهم اليومي الذي لا غنى لهم عنه وعدتهم الاساسية التي يستعينون بها على أداء رسالتهم الادبية على الوجه الاكمل . وهنا تبرز تساؤلات عديدة منها : هل هؤلاء الذين وضعهم الكاتب في موضع الاتهام مسؤولون حقا عن أزمة اللغة العربية في هذا العصر ؟ أو هل هناك أشخاص آخرون معروفون مسؤولون معهم أو بدونهم ؟ وهل يكفي أن يكون المرء أديبا أو شاعرا أو قاضيا أو مفكرا وفيلسوفا أيضا ليكون مطالبا بحل أزمة اللغة أو ان ينسب اليه والى أمثاله أنه علة هذه الازمة وأحد أسبابها المباشرة أو غير المباشرة ؟! من مراجعة البحوث التي نشرت في عدد المعرفة موضوع هذه الدراسة والتي بلغت — ٢٨ — بحثا يبدو واضحا أن أحدا من الباحثين لم يحاول البحث عن جذور المشكلة العويصة الضاربة في أعماق التاريخ والتي انتقلت الينا معشر العرب الناطقين بها اليوم مع تركة ضخمة مثقلة بالمشاكل العديدة الاخرى من اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية حل بعضها حلا جزئيا وما زال أكثرها ينتظر من يتصدى لحله بوعي واخلاص وكفاءة ، والمشكلة التي نحن بصددها على رأس مشاكلنا القومية المعلقة التي أخفقت حتى الان جميع المحاولات المعاصرة التي تصدت لمعالجتها على امتداد الوطن العربي الكبير .

ومما يؤسف له أن قطرنا العربي السوري لم يعرف له محاولة جادة في حقل اللغة تتصف بالعمق والشمول وما أظن أحدا ممن لهم قدم راسخة في علوم العربية يجيز لنفسه الاقرار لمحاولة (المعرفة) الجديدة بأنها أهل لان توصف بالجدية والعمق والشمول !!

وكم أتمنى ـ صادقا ومن صميم قلبي ـ أن أكون مخطئا في الحكم على هذه المحاولة وأن أسمع لها في القريب العاجل في الاوساط اللغوية ولدى جمهور المثقفين صدى مستحبا يتناسب وتفاؤل القائمين عليها وأن يؤدي الحوار البناء حولها لسد النقض الجزئي الذي أقر ضمنا بوجوده فيها المسؤول الاول عنها الاستاذ صفوان القدسي الذي ختم مقاله الافتتاحي بقوله :

واذا كانت هذه المحاولة قد نجحت في رسم خارطة تفصيلية للمشهد اللغوي العربي المعاصر ، فان اغناء هذه المحاولة انما يتحقق عن طريق اثارة حوار جاد حول الموضوع المطروح للمناقشة ، بهدف سد أي نقص يمكن أن يكون قد أصاب هذه المحاولة التي سعينا الى أن تكون في مستوى الموضوع الخطير الذي نعالجه ·

لقد دافع الاستاذ القدسي في مقاله دفاعا محمودا عن اللغة العربية ونعى على الكتاب المعاصرين جهلهم بالنحو وقواعد الاملاء ولكنه تحاشى التعمق في بحث المشكلة النحوية ليتوسع في بحث ما أطلق عليه « العاميات العربية » · وانتهى الى القول :

ان العاميات العربية ليست لغات قائمة بذاتها ، وانما هي مجرد لهجات صنعتها ظروف معينة وأن هذه العاميات تنحدر من أرومة واحدة هي اللغة العربية وان هذه العاميات لا تملك أن تتحول الى كيانات لغوية مستقلة·

وفي الفقرة الرابعة من مقاله تحدث عن وجود مشكلة لغوية في حياتنا الفكرية والثقافية وحدد ملامح هذه المشكلة ـ الازمة ـ كما سماها ـ في مجموعة ظواهر منها ·

١ ـ أننا ما زلنا أسرى الصيغ الجاهزة في التعبير وهي صيغ ـ من وجهة نظر الباحث ـ لم تعد صالحة للاستعمال ، وفقدت مقدرتها على الايصال وتحولت الى ركام من الكلمات التي فقدت مدلولاتها · وهو يرى أن التمهيد لتجاوز الازمة اللغوية المشكو منها يكمن في كتابة قاموس لغوي جديد مناسب لحياتنا الجديدة · وقدسها عن باله أن كتابة مثل هذا القاموس أمر منوط بالدرجة الاولى بأناس وقفوا حياتهم على خدمة هذه اللغة ممن رماهم بالجمود لان جهدهم منصب على الحفاظ على ما هو قائم ، وليس على ما ينبغي أن يكون ووصمهم جميعا بلا استثناء بالاحجام عن متابعة ما يجري في العالم على صعيد الابحاث اللغوية وحكم عليهم بأنهم أصبحوا خارج دائرة المهمة الموكولة اليهم · ولهذا ـ على ما يبدو ـ استبعدوا من الاسهام في اصدار العدد الخاص الذي كرس للحديث عن « اللغة العربية والعصر » · وفي اعتقادي أن استبعاد هذه الفئة من اللغويين المشهود لهم بطول الباع ورسوخ القدم في علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وبيان من الاسهام في هذه المحاولة كان من جملة الاسباب الرئيسية التي جعلتها بعيدة عن الكمال الذي قدر لها · والذين أسهموا منهم ـ على قلتهم ـ لم يبحثوا في صميم المشكلة ولا في جانب أساسي من جوانبها المتعددة وانما حاموا في دراساتهم من حولها كما سيجيء تفصيل ذلك كله في مقالات تالية ان كتب لهذا المقال أن ينشر في احدى المجلات الثقافية أو اللغوية التي ترحب بفتح باب الحوار على مصراعيه حول أزمة اللغة العربية التي نعاني منها جميعا دون أن نبذل الجهد الكافي للتغلب عليها ·

وللبحث بقية ···

محمد الكسار

موسم الريحان

محمود الباوردي

تربطني بأبي مازن أكثر من رابطة .

ـ زمالة قضاء

وهواية شعر

ومنبت واحد

وعهد اخاء قديم قديم

ولذا كانت هذه القصيدة

مطلعها : وصف حال القاضي ، في سهره ونصبه ، وفي قلقه وحرجه ، وفي موقعه من الشعب ، وسلطانه بالحق .

وآخرها : تعداد لصفاته ، وتكريم لذاته .

من القلب تفجر ينبوعها ، وفي القلب أرجو لها أن تقع .

أنا والضوء ، والاضابير في الليل
وحولي سحابة من دخان

مشعلا ، مهملا ، لفيفة تبغ
ناسيا ، رشف ما احتوى فنجاني

نام طفلي ، ولم يفز من أبيه
بانتباه ، ولا التفات حنان

ضاق صدري ، وضاق صدر عيالي
في انتظار المسهد السهران

غارقا في النصوص ، في لجج البحث
أجلي مستغلقات المعاني

غائصا في اللجاج أنتشل الحق
غريقا في لجة البهتان

داحضا حجة بقوة أخرى
ناصبا ثم ، كفتي ميزاني

أنا كالزورق المرجح بالموج
وكالحبل شده خصمان

مزج الباطل المموه بالحق
وشيب الاقرار بالنكران

كلما قلت قد ظفرت بوجه ..
يتبدى للحق وجه ثان

كشعاع ، عبر الغصون ، تراءى
دائب اللمح ، دائب الروغان

محنتي أنني أضعت همومي
في هموم ، تنهال كالطوفان

أودعوني أشجانهم واستراحوا
فالى من أشكو أنا أشجاني

جعلوني مستودعا للشكاوى
حسبوني ، أذنا بغير لسان

رب آه ، تمزقت في ضلوعي
وشكاة ، ماتت بلا اعلان

أيها الناس ، قد زحمتم جناني
وسلبتم نومي من الاجفان

رب دعوى ، هجست فيها نهاري
ثم عادت في غفوتي تغشاني

أيها الناس أين أين حياتي
لم تجري رتيبة الجريان

صدر يومي ، ما بين قال وقيل
ومسائي ، للدرس والامعان
أين ضحكي ، ونزهتي ، وانطلاقي
وارتياحي لعشرة الخلان
لم أنأى عن الصحاب بنفسي
لم أحيا في وحدة الرهبان
لم أمضي ، مكفنا بوقاري
وكأني نحت من صوان
محنتي أن منطقي فيصل الامر
وحكمي للحق كالعنوان
أنني أخطيء الصواب ، وأقضي
بقضاء .. أواه ما أشقاني
خطأي يهدم الحقيقة هدما
ويقوي دعائم الطغيان
خطأي يورد الحتوف ، ويرمي
ببريء في قبضة السجان
رب سدد خطاي في مزلق
الدرب ، لكي لا تزل بي قدمان
رب زدني علما وفجر بقلبي
منبعا من منابع العرفان
ارهف الحدس والبصيرة حتى
يرياني مالا ترى العينان
رب هبني شجاعة القول
والفعل ، وطهر الاسرار والاعلان
نج نفسي مما يوسوس في
النفس ، وأبعد نوازع الشيطان
واجعل الخوف وازعا يزع الميل
واحكم رقابة الوجدان
ذاك شاني ، اذا حفلت بشاني
وذكرت النجوم من اخواني

نحن ، من نحن ؟ يا غيارى
الذؤابات،ويا أعين الشموخ الرواني
نحن من نحرق النفوس شموعا
ونضيء الظلام بالذوبان
نحن من نملأ القلوب سلاما
ونتيح الحياة باطمئنان
نحن نحمي الاعراض والمال والنفس
ونحمي كرامة الانسان
نحن صخر الصمود في قلعة الحكم
ونحن الاساس في البنيان
نحن للشعب جنة ووقاء
نحن قيد الباغي ، وغل الجاني
يستوي عند قوسنا أفقر الناس
وشخص المليك ذي الصولجان
رب نص ، أضاع حقا صريحا
سافر الوجه باديا للعيان
وخبير أضلني وشهود
اتقنوا الزور أيما اتقان
ومحام غر ، يضيع دعوى
وضليع ، ذي خبرة ومران
يكسب الواهي الضعيف دليلا
ويشد البرهان بالبرهان
فأراني شريكهم ، رغم أني
لم يكن لي بما جنوه يدان
محنتي للنعيم يخلص قاض
والى النار ينتهي قاضيان
رب اني ظلمت نفسي ، وحملت
كياني مالا يطيق كياني
حملت نفسي الامانة ظلما
وأباها وخافها الثقلان

ليس يكنى (علي) فالناس أنداد
سواء كالمشط ذي الاسنان
يصلح الناس ما صلحنا ، وتغدو
دوننا الارض ، مرتع الذؤبان
يأيها المبحر المدوم في الريح
صراعا ، بوركت من ربان
هدأ الموج ، لا اصطخاب ، ولا
عصف ، وأضحى الهدير رجع أغان
ها هو الشط حافل بالاماني
بجنان موصولة بجنان
ببساط من سندس ، ألق النسج
وظل على مقيلك حان
واحة العمر ، فاسترح ، تعب المجد
وكلت مضارب الهنداواني
بغصون ترف حول غصون
وثمار ، تميل بالاغصان
موسم النضج من ثمار المعالي
فاجن ما شئت أيهان البستاني
ها هنا الفقه والتبحر والعلم
وبحر يبدو بلا شطآن
تدرك النص والوقائع لمحا
وأصول النفاذ والبطلان
ثم تجلو بالدرس ما أجمل الحدس
وترسيه ثابت الاركان
منهلا كنت ، سائغا ، مستفيضا
ترتوي منك غلة الظمآن
تشبه الثلج بالنقاء من الشوب
وتنأى عن لوثة الادران
عطر الاسم ان ذكرت بحشد
فاح في الناس موسم الريحان

وهنا الشعر والرواية والنقد
وابداع كاتب فنان
أدب رائع ، تصوغ به النثر
فيغدو شعرا بلا أوزان
ومران على الجمال ، لمح
كاشف عن مواطن الاحسان
أرهفت حسك الروية والدأب
كما أرهف الصقال اليماني
أنت ديواننا تضم انتقاء
خير ما قيل في مدى الازمان
تنتقي الماس والزمرد شعرا
وتميز الحصى من المرجان
ثم تلقي ، فتكسب اللفظ وهجا
فنرى فيه ومضة النيران
وهنا الجهر والخطابة في الهول
دفاعا عن حوزة الاوطان
فوق هام الرجال ، ينبثق البحر
وتهمي قذائف البركان
تصفع الباطل المزخرف بالزيف
وتدمي مفارق العدوان
لم يزل في صدى النواعير شيء
من تراجيع صوتك الغضبان
أيها (البدر) يا مضيء الدياجير
سكبت الضياء ، ملء الجنان
ان تغب عن مدارك الالق الزاهي
فما أنت غائب عن عيان
كل بدر تنال منه الليالي
غير (بدر) يشع بالعرفان

• محمود عارف البارودي
٢٩-١٢-١٩٧٦م

رسائل الأصدقاء

ثلاث رسائل من القلب

الاستاذ مدحة عكاش ـ دمشق ..

سلام عليك يا حامل لواء الثقافة .

في الوقت الذي انهدمت فيه كل منابر التراث القديم يبقى منبرك قائما . يحمل معه ـ من أعماق التاريخ ـ عبق الاصالة ، وسجبات المجد ، ومن الحديث ، ومضات الجدة ، وبريق الوضوح .

لقد وعيت معنى الكلمة فقدستها ، وفهمت مغزى الثقافة ، فجعلت منها ميدانا لكل حملة الاقلام الواعدة ، ومشعلا لجميع الشباب . حتى تخرج من فوق صفحاتها كتاب انتشروا على رحاب الوطن العربي بأقلامهم وأفكارهم ومؤلفاتهم . ويكفيك فخرا أنهم عرفوا أن نقطة البدء كانت من (الثقافة) .

ولن ننسى ـ مهما تباعد الزمان ـ بأن مدرسة (الثقافة) قدمت للوطن ولا زالت تقدم أجل الخدمات في مضمار الفكر والفن والادب ..

وسوف يذكر التاريخ للثقافة هذا الدور المشرف الذي لعبته منذ عام ١٩٥٨ في نشر الوعي الادبي واحتضان الادباء الشباب ، بكل رحابة صدر ، بعيدا عن الاهواء الخاصة والمنازع الشخصية ، وكان الهدف الذي وضعته نصب عينيك هو : تبني الادب الاصيل ، ولا شيء سوى ذلك . وكان لنا من دار الثقافة ، التي عملت على نشر نتاج البراعم الشابة المتفتحة في كتب مستقلة ، في الوقت الذي أحجمت عن نشره معظم دور النشر العربية ، خير دليل على عظم المسؤولية ، التي أخذتم على عاتقكم تحملها منذ البداية (وان مائة وأربعين كتابا هي حصيلة ما نشرته الدار حتى اليوم خلال رحلة العشرين عاما الماضية ، **هي** أفضل أثر تتركه (الثقافة) للمهتمين بالادب في **بلادنا** . ولكي يقفوا على حقيقة هذا الدور الذي أدته وتعمل الثقافة على تأديته لخدمة فكر الامة وتراثها وأدبها .

يا شاعري المبدع :

في البدء كانت الثقافة ...

واليوم نراها في أوج عطائها واستمرارها ، لانك تعطيها من فكرك وقلبك !!

وسوف يبقى الشباب يحدقون اليها بأنظارهم ، كما تحدق الازاهير الى الشمس !

وشكرا لاستقبالك لنا ، واحتفاء (الثقافة) ـ بنا ـ كما عودتنا كلما زرنا دمشق الفيحاء الحبيبة ـ .

وشكرا لاهتمامك بالادب والادباء ... يا من تمنحهم محبة قلبك ، ورحيق فكرك وسلام عليك فقد حملت رسالة الادب ورفعت لواء الثقافة . ولمثل هذا فليعمل العاملون .

ـ أريحا ـ

الشاعر الكبير مردم بك

منذ أمد بعيد : وأنا أتشوق لزيارتكم والتعرف عليكم • ولكنها الحياة ، وأعباء العمل وبعد المسافة ، وعوامل أخرى قد حالت دون تقريب فرصة اللقاء •

ولقد كان لقائي معكم مصداقا لتلك الصورة التي رسمتها في مخيلتي ، صورة الشاعر الصادق الامين • التي كونتها عبر مطالعاتي في ديوان الشعر العربي وتنسم أخبار شعرائه ••

لقد عرفتك شاعرا أحب أمجاد أمته ، وعاش مع تراثها وأدبها شعرا ونثرا • فانسالت على لسانه صورا خالدة من روائع الشعر العربي • يجمع في ثنايا القصائد روائع الكلم وطرائف القول ••• وجعلت من الشعر الرائع غذاء للعقول • ومتعة للنفوس في عصرنا الحديث •

لقد عرفتك شاعر مسرح ، أكملتَ المسيرة التي بدأها من قبل شوقي وعزيز أباظة ، وخلدت لنا في مسرحياتك : غادة أفاميا ــ العباسة ــ الملكة زنوبيا ــ الحلاج ــ رابعة العدوية ــ مصرع غرناطة ــ فلسطين الثائرة ــ ومأساة مايرلينغ ••• وتركت الاثر الذي يجعل من مقامك الشعري ما هو كفيل بايصالك الى مرتبة عالية • تتسنم فيها قمة من قمم المجد الادبي ••• وقليل هم الذين يبدعون ما أبدعت على امتداد الوطن العربي •••

فطب نفسا يا شاعري ، واهنأ بما قدمت يداك •

ان تنقيبك في أعماق التاريخ لاستخلاص كنوزه المخبوءة هو خدمة جليلة تقدمها للامة في عملية بعث تراثي • وتغن بأمجاد عربية كان لها انتصارات مشرفة على مر الزمن •

بورك سعيك ، وأمد الله في عمرك • ونحن معك على موعد خصب جديد مما يبدعه قلمك الساحر •

وشكرا يا شاعري •• فلقد تحققت ــ بعد أن عرفتك عن كثب ــ أن الصورة التي رسمتها لك من قبل كانت صورة صحيحة •• يضاف اليها شيء واحد • هو أنك شاعر أصيل •••

وكم أتمنى أن نلتقي دائما ••••

ــ أريحا ــ

الى أصدقائي في حمص :

الاديب : محمد غازي التدمري •

الاديب : سمر روحي الفيصل •

الشاعر : كمال الغزي •

القاص : أيمن الطويل •

أنا لا أعرف أن هناك محبة أقوى من تلك التي يغرسها الادب في نفوس عشاقه ومحبيه • ولقد كان لقاؤنا في مدينة ابن الوليد تأكيدا لتلك الاشياء التي نحسها ، ونعيشها كل حين • وكانت هموم الادب ومشاغله هي مدار تفكيرنا • فانطلقنا نغني أغاني المتيمين على أنغام العاصي، ونطقت ألسنتنا بما يعتمل في هذه القلوب الصغيرة من تطلعات حرى ، وأشواق لاهفة ، واشراقات بريئة تجاه عملية الكتابة والصحافة والنشر • وكانت الاماني الحبيبة، والآمال العريضة ــ في لقائنا العابر ــ ترسم آلاف الرؤى•• تمنينا أن تسكن البراءة والمحبة كل القلوب ، وأن يلتقي المهتمون بالادب والفن والثقافة في جميع البقاع والاصقاع مع بعضهم • ليتعارفوا ، ويتعاونوا على نشر المحبة ويعملوا على تبادل الآراء •

يا أصدقائي في حمص :

سنظل أوفياء على العهد • ولن تكتب أقلامنا الا عن الحق والخير والجمال ، ولن تبحث أفكارنا الا عما يثبت للزمن وينفع الناس ••• ولن نغرس في قلوبنا غير المحبة، وسنجعل من (الثقافة) منبرنا الحر نسمع من خلاله صوتنا للعالم • وسنحاول أن نمسح بأنامل البراءة تلك الغشاوة الضبابية التي تسربل العالم الغارق في بحار الانانية الادبية •••

والى لقاء آخر في رحاب المحبة ••

فما أطيب لقاء الاحباب •

•• أريحا ــ محمد قرانيا



الامارات العربية المتحدة

ابراهيم حريب

الدستور والفكر السياسي

كان الاتحاد بين الامارات الستة في الخليج العربي ، تجربة رائدة للذين ينطلقون من مواقع قومية ، ويتطلعون الى آفاق مستقبل مشرق للامة العربية ، ويعملون من أجل وحدتها التي تنصهر فيها تناقضات وتذوب فوارق وتدك حدود ، فتصبح الامة العربية قادرة على حماية نفسها والصمود بوجه التحديات والتصدي لها ، وتتعامل مع الحياة الجديدة ، وتتفاعل مع الحضارة الانسانية ، وتمنحها دفقا من روحها وشخصيتها المميزة ، وترفدها بسمو رسالتها الخالدة ، مثلما أعطت الانسانية من ذاتها ومن قدراتها ، في الماضي . الشيء الكثير .

واذا كانت الامة العربية قد استطاعت في الماضي ، أن تحمل رسالتها الخالدة بصبر واناة ، وعزم وتفهم عميق حضاري ، وبكل ما فيها من معاني الحق والخير والجمال ، فأثرت بالحياة الانسانية وفكرها وروحها ، وتأثرت ، فانها لقادرة من جديدة ، على التفاعل مع الحضارة الحديثة بكل عطائها الايجابي ، وعلى اغنائها بروحها ونظرتها الانسانية السمحة .

ولعل التجربة الجديدة ، تصبح نواة لوحدة الخليج العربي كله في مرحلة ، تنقل الى وحدة عربية شاملة في مرحلة أو مراحل أخرى .. يلتقي في أحضانها المؤمنون بمصير أمتهم ، في اطار من الامل العظيم الذي يخامر نفوس العرب في مختلف أقطارهم .. ذلك الامل الذي كاد يصبح سرابا يحسبه الظمآن ماء ، وأوشك أن يغيض في متاهات ذاتية وخارجية !..

انه الحلم العظيم ، الذي انطلق حقيقة جلية ، في الماضي ، من قلب الجزيرة العربية ، فمن أين تراه ينطلق اليوم .

— ٢ —

خمس سنين مضت على مولد دولة الامارات العربية المتحدة في شرقي الوطن العربي ، الدولة الفتية .. الامل . استطاعت خلالها أن تصمد بصبر واناة وعزم ، أمام العوامل الذاتية والخارجية التي ترسبت من أعماق ماض مليء بالكبت ، مكتظ بالمحن وبمحاولات طمس الشخصية العربية .

لقد برزت تناقضات حادة في مسيرة العمل الجاد ، وكان لا بد لها من الظهور بعنف ، وليس في هذا ، نقص أو عيب ٠ انه من طبيعة العمل والمثابرة عليه ، ان الذين لا يخطئون هم الذين لا يعملون ، أما الذين يعملون ، فقد يخطئون ، وقد يشوب عملهم نقص ، فالخطأ والنقص يصبحان قاتلين مدمرين بالسكوت عليهما والاغضاء عنهما والتمادي فيهما ٠

وكانت سنة ١٩٧٦ امتحانا قاسيا لهذه التجربة ، واختيارا لقدرات الدولة الفتية ورجالها على الصمود والتصدي لجميع المشاكل التي برزت وكادت تعصف بها وبهم ، لكن تلمس التناقضات بوعي ومواجهتها بعزم ، والبحث عن الحلول بصبر واناة ، جعلها تدبر كما أدبرت الايام وتنصرم مثلما تصرم العام ، فظل البنيان متينا يتصدى ، وبقي العمل واثق الخطو بعزم وايمان ٠

ـ ٣ ـ

سن الدستور الموقت لهذه الدولة ، مستلهما ما يعتلج في نفوس المواطنين ويغذي طموحهم ، ويحفظ حقوقهم ويصون حريتهم وكرامتهم ، ويعرفهم بواجباتهم الوطنية والقومية ، مستوعبا أهم الاعراف الدستورية في الوطن العربي وفي العالم المتحضر ، فاكتسب مرونة وقوة، لتنطلق منهما القوانين العامة في مختلف شؤون الحياة للدولة وللناس ، تشريعا وتنظيما ٠

ولئن كان الدستور مؤقتا يعقبه دستور دائم يسن في عام ١٩٧٦ ، فتصرمت من دونه ، فانه لا بد من نظرة تحليلية سريعة لافكاره وعطائه والاسس التي ارتكز عليها ٠

ـ ٤ ـ

أكد الدستور المؤقت على انتماء دولة الامارات العربية المتحدة للوطن العربي ، مستهلما روابط اللغة والدين والتاريخ والمصير ، التي تربطها بالوطن العربي الكبير ، وتربط شعبها بالامة العربية التي هو جزء منها ٠

وليس في هذا ابتكار أو ابداع ، وانما هو الحقيقة الثابتة التي أكدتها جميع دساتير الدول العربية ، وان اختلفت صياغتها في دستور عن آخر ، أو كانت واضحة كل الوضوح في دستور ، وغير واضحة بجلاء في آخر ٠

وأكد أيضا على حقيقة أخرى ، هي : « لغة الاتحاد الرسمية هي اللغة العربية » ٠ فقد جعل اللغة هي المفهوم السياسي الاول لمقومات القومية العربية ، فلئن كان الفكر السياسي عند فئة من الناس ـ لتحديد هوية شعب عربي في قطر ، قد أعطى فكرة غير قومية ، بتحديد هويته على أساس ديني ، فان هذا الدستور ، جعل اللغة مقوما أساسيا لتحديد مفهوم الهوية القومية لشعب الامارات ، ولعل المنطلق الاساسي لتحديد ذلك ، هو ان الدين ليس قومية عند العرب فحسب ، وانما عند الامم الاخرى ، فالقومية الواحدة تضم ديانات مختلفة ، والدين ، أي دين يضم قوميات مختلفة ، ان الفكر السياسي السائد في بعض الاقطار العربية ، يعتبر الاسلام الذي هو دين الغالبية دينا وأخلاقا وحضارة ، اعتنقته شعوب مختلفة قومياتها ، ولكل قومية لغتها الخاصة وشخصيتها المميزة اللتين تختلفان عما للقومية العربية ، فتطلعات العرب وآمالهم تنحية يعمق ووعي الى تحديد مفهوم قومية خاصة بهم ، لها لغة هي العربية ، ودين هو الاسلام ، يربط بين أبنائها تاريخ ومصير مشتركان ٠

وعلى ذلك ، جعل الدستور المؤقت ، اللغة هي المفهوم السياسي الاول للقومية العربية ، تجسيدا لحقيقة، وتأكيدا للهوية العربية لشعب الامارات وتحقيقا للفكر السياسي السائد في الاقطار العربية ٠

والدستور المؤقت جاء خاليا من النص على العمل من أجل تحقيق الوحدة العربية ، وتحديد معالم هذا العمل وطبيعته ، كما جاء في بعض الدساتير العربية ، كدستور الجمهورية العربية السورية ، الذي ركزت مقدمته ـ وهي جزء منه ـ على أهمية دور الامة العربية حين تكون موحدة ٠ « فالاستقلال وسيلة لتحقيق أهداف الامة العربية

في الوحدة والحرية والاشتراكية » كما تضمنت المقدمة منطلقات وحدوية ، طابعا وصياغة ، ولعل المنطلق الثاني كان أهمها في هذا المجال • فقد أفصح « ان الانجازات التي حققها أو يحققها أي قطر عربي في ظل واقع التجزئة، تظل مقصرة عن بلوغ كامل أبعادها ، ومعرضة للتشويش والانتكاس ، ما لم تعززها وتصنها الوحدة العربية ، وكذلك أي خطر يتعرض له أي قطر عربي من جانب الاستعمار والصهيونية ، هو في الوقت نفسه خطر يهدد الامة العربية بأسرها » •

الا أن خلو الدستور ومقدمته من النص على ذلك ، فانه لم يهمل الامر كليا ، وانما أخذه من جوانب أخرى ، توحي بالصلة الوثيقة التي تربط الدولة بالوطن العربي الكبير ، والشعب بالامة العربية ، كما أسلفنا ، وعدا عن ذلك ، فقد نصت مقدمته على « التعاون بين الدول العربية الشقيقة ومع الدول الاخرى الصديقة » • وأيدت مادة في الدستور نفسه « الرغبة في اعداد الشعب باتجاه حكم ديموقراطي في مجتمع عربي اسلامي متحرر من الخوف والقلق » •

ان هذه النصين ، والنص الآخر الذي « أجاز لاي قطر عربي مستقل أن ينضم الى الاتحاد » ، لا يكفيان ، لانهما لا يعينان مناهج العمل ، من أجل الوحدة العربية ، وليس فيهما أيضا التزام الدولة بها وبه •••

فالنص على التعاون مع الدول ، جعله الدستور في مستوى واحد ، سواء مع الدول العربية الشقيقة ، أو مع الدول الاخرى الصديقة • وهذا ما يجب التفريق فيه ، فالروابط التي تقوم بين الدول العربية أكثر وثوقا وأشد رسوخا ، حتى وان لم تأت الدساتير على ذكرها ، من الروابط بين الدول الاخرى ، التي تخضع لمد وجزر ولمؤشرات سياسية أو اقتصادية ، ونظم اجتماعية وغير ذلك من الامور •

والنص على الرغبة في خلق مجتمع عربي اسلامي متحرر من الخوف والقلق ، هو مهمة الدولة ، أية دولة ، فالمجتمع الامن المتحرر ، هو دعامة الدولة وقوامها ،

أما جواز انضمام الاقطار العربية المستقلة الى الاتحاد ، فانه مشروط باجماع الآراء ، ولكنه خطوة واثقة قد تفتح الباب لاقطار عربية فتنضم الى هذا الاتحاد وتعمل على تثبيت دعائمه وتطوره وسلامته •

ان هذه الملاحظات ، التي تأمل أن تؤخذ على حقيقتها ، عند وقع الدستور الدائم ، لا تعتبر ثغرات في الدستور الموقت لا تسد ، أو انها تنقص من قيمة الركائز التي ارتكز عليها في دعم الفكر القومي السياسي ، ولا تخل في تطلعات الامارات شعبا ودولة ، لتحقيق أهداف الامة العربية في الوحدة ، ولا تقف بوجه العمل من أجل ذلك •

ـ ٥ ـ

الشيء الاخر الذي أكد عليه الدستور الموقت ، في الفكر السياسي والتشريعي هو الاسلام ، فقد جعل الاسلام في مرتبة عليا من مقومات الدولة، اذ نص على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمي للاتحاد ، وان الشريعة الاسلامية هي مصدر رئيسي للتشريع •• »

ففضلا عن الاعتبار السائد بأن الاسلام دين وأخلاق وحضارة ، وبأنه ليس قومية ، وانما يضم قوميات أخرى مختلفة ، ومن بينها القومية العربية ، فقد جعل الدستور ، اثر الاسلام واضحا ، في هوية الدولة ، فهي عربية اسلامية وهوية الشعب ، فهو عربي اسلامي ، وواضحا أيضا في تكوين المجتمع وتطويره ، فهو أيضا مجتمع عربي اسلامي •

اذن ، فالدستور المؤقت قد التزم بالفكر السياسي القومي والديني ، بمجاليهما الواسعين ، ايديولوجيا وتنظيميا ، وجاء هذا التوافق مخالفا لكثير من الدساتير

العربية ، فبعضها ركز على الفكر السياسي القومي وحده ، وبعضها التزم بالفكر الديني ، وبعضها الاخر نهج العلمانية في تحديد الفكر السياسي للدولة ، مع التأكيد على مفهوم قومي أولي واضح .

ولعل ربط التشريع بالشريعة الاسلامية ، كان من أهم مرتكزات الدستور المؤقت . ان الفكرة السائدة أن التشريع مستنبط ومستقى من عادات وتقاليد وأعراف المجتمع ، ومن امكانياته وحاجاته الى التنظيم والصقل والتطور ، سواء في الشؤون الحقوقية أو الجزائية ، ويبدو أن واضعي الدستور قد أخذوا بهذه السنن المبدئية ، فالمجتمع عربي ارتضى بالاسلام دينا وأخلاقا وحضارة وبكل القيم التي جاء بها . وهو يعتبر العروبة والاسلام كيانا واحدا ، فترسخ هذا في عقله وقلبه ، فهما وايمانا ، وانعكس على سلوكه العام فحدده عبر تاريخ طويل من الانتماء والممارسة . هذا المجتمع له تطلعات قومية وحضارية ، وهو جزء من عالم كبير ، قصرت فيه المسافات ، وتقلصت المساحات ، وامتزج الفكر الانساني وتفاعل بعضه مع بعض ، وأوشك فيه أن يتوحد العطاء الحضاري وينسجم ، فتأثر هذا المجتمع بذلك كله أو ببعضه ، ولا بد له أن يؤثر فيه أيضا في المستقبل ، والتشريع هو الذي يرسم له سلوكه العام والخاص ، فكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، والشريعة هي التي حددت – من قبل – هذا السلوك ورسمت له طريق الحياة ، فلا بد من رباط وثيق بينهما – الشريعة والتشريع – . أو لا بد للتشريع من مصدر رئيسي يستقي منه أفكاره ، ويهتدى بهداه ، ويستظل بظله ، ويسلك منهجه ، فكانت الشريعة هي ذلك كله ، نصا ملتزما في الدستور المؤقت ، « الشريعة الاسلامية مصدر للتشريع في دولة الاتحاد ... » . وهو ما أخذت به معظم الدساتير في الاقطار العربية .

– ٦ –

لم يهمل الدستور المؤقت الشؤون الاجتماعية والثقافية ، بل حدد معالمها الاساسية ، لينظمها القانون ، في سبيل خلق مجتمع متحرر من الخوف والقلق ، كان التعاون بين مجتمع الامارات ، أساسه الاول .

لقد كفل الدستور للمواطن ، المساواة والعدالة الاجتماعية والامن والطمأنينة وتكافؤ الفرص ، واعتبر ذلك دعامة أساسية من دعائم المجتمع ، ورعى الاسرة ، بأن يكون الدين والاخلاق وحب الوطن ، محور تفكيره وأساس تنظيمه ، وهدف تطلعاته ، فالاسرة نواة المجتمع ، ومنها يتكون ، وبها يتطور ، وسلوكها العام والخاص ينعكس بعمق على سلوكه ، فبقدر ما تكون الاسرة مصانة محمية من الانحراف ، وبقدر ما تكون متعلمة قوية متراصة يكون المجتمع كذلك ..

ومن هذه الافكار ، التي رسمها الدستور ، انبثقت نظرته الى الطفولة ، فأكد على شمولها برعاية المجتمع والدولة .

فالطفل هو الذي يستحق الرعاية قبل كل شيء ، ويستحق الحنان والنظرة الصادقة الخيرة ، فهو أساس مجتمع المستقبل ، ومنه يتكون ، ومن سلوك هذا الطفل ، خيرا أو شرا ، يتحدد سلوك مجتمعه ، وطنيا وقوميا ، سياسيا واجتماعيا .

والطفل هو الذي يجب أن يتوفر له العلم الصحيح والخلق العظيم ، والتفهم الخالص لمجتمعه ، فهو الذي يعاني مشاكل المستقبل ، ويمارس أوضاعه العامة ، ومن فكره نمت وتنمو الحضارات ، وهو الذي يخلف الاجيال الحاضرة ، في مسيرة شعب له تطلعاته القومية والاجتماعية وهو الموجة التي نزيح الامواج التي سبقته ، فيستقر مكانها ، فبقدر ما تكون صالحة قوية متفتحة على الامال الكبار لمستقبل مشرق للشعب ، يكون المجتمع كذلك .

كل هذا ، أخذ به الدستور المؤقت وأكد عليه ، وهو خطوط عامة ، ونظرات مستقبلية هادفة ، بقي ، أن يكون السلوك العام والقوانين التي تنظم هذه الافكار وتحدد معالم تنفيذها ، محققين للامل الكبير ، وللاهداف الصحيحة السليمة بوعي وادراك .

— ٧ —

ثمة شؤون وشؤون نص عليها الدستور المؤقت ، منها تنظيمي ومنها تأسيسي ، كتنظيم سلطات الدولة الاتحادية ، وسلطات الحكم المحلي في كل امارة ، وتأسيس المجالس وملامح انظمتها واختصاصاتها ، ولا نرى من المفيد ، اليوم ، بحثها وتحليلها ، فهي لا تختلف كثيرا عما ورد في دساتير الدول العربية .

لكن لنا رأيا يختلف ، في بعض نصوص هذا الدستور ، وأفكاره ، نرجو أن ينظر اليها عند وضع الدستور الدائم .

١ — نص الدستور الموقت على أن « يمارس الاتحاد السيادة على جميع الاراضي والمياه الاقليمية داخل الحدود الدولية للامارات الاعضاء .

ونص أيضا على أن « تمارس الامارات الاعضاء نفس السيادة ، في الشؤون التي لا يختص بها الاتحاد » .

كما نص على عدم جواز تنازل الاتحاد عن سيادته .. الخ ..

سيادة الاتحاد، يجب أن تمارس ، على جميع الامارات في كل الشؤون السياسية ، والتنظيمية والاجتماعية ، ممارسة فعلية وهادفة ، دون سلطة أخرى ، لان للاتحاد نظرة شاملة لكل شؤون الامارات ، ومن هذه النظرة الشاملة الهادفة ، يتحقق الانسجام والتوافق في التصرفات ، وتنصهر التناقضات ، وتذوب الخلافات فيكون المجتمع القوي المتطور الذي أراده الدستور المؤقت في مقدمته وفي نصوصه ،

صحيح ، أن للسلطات المحلية ممارسات ، في حدود مكانية ، لئلا تنحصر الشؤون العامة في مركزية ضيقة ، وصحيح أيضا ، أن الادارة المحلية انجاز متقدم متطور ، أخذت به كثير من الدول المتقدمة ، لكن الامر يختلف هنا ، لان هدف الاتحاد أبعد من تنظيم سلطات ، وأعمق من تحديد ممارسات ، الهدف منه تحقيق وحدة متكاملة متراصة ، سلطة الدولة فيه هي السلطة العليا .

وفي هذه النصوص ممارستان ، على الاراضي والمياه الاقليمية ، احداهما من قبل دولة الاتحاد ، والثانية من قبل الامارات نفسها . ان تلك الممارسة يجب أن تكون في الاصل لدولة الاتحاد وحدها ، واذا كان للسلطات المحلية في كل امارة ، حق في ممارسة ، انما يجب أن تكون على شؤون أخرى محلية ، غير ما لدولة من حق . فالخوف من بقاء النص على ممارسة كل امارة لسلطات على الاراضي والمياه الاقليمية ، مع وجود سلطات الاتحاد ، انما هو من بقاء النظرة الاقليمية الضيقة السائدة ، وقد تتعارض مع سلطات الاتحاد .

ونرى ، في كل أمر ، أن يحدد القانون الاتحادي ، سلطات الاتحاد ، وسلطات الامارات المحلية ، وحقوقهما وواجباتها ، تفصيلا ، بما يحقق الادسجام التام ، ويكفل خلق المجتمع القومي المتطور الامن من القلق والخوف ، في دولة الاتحاد كلها .

٢ — جعل الدستور المؤقت ، للاتحاد علمه وشعاره وتشيده الوطني ، مع احتفاظ كل امارة بعلمها الخاص لاستخدامه داخل اقليمها .

ان دساتير اتحادات الدول ، جعلت علما واحدا وشعارا واحدا ، لها ، وليس ثمة أي علم لاية دولة منضمة الى هذا الاتحاد ، ولذلك غاية هادفة ، هي زيادة التلاحم بين أعضاء الاتحاد وتوثيقه بروابط لا تنفصم ، لينطلق بعد ذلك الى وحدة كاملة ، تذوب فيها الشخصية الخاصة في الشخصية العاملة للدولة ، وبتوحد الشعب في سلوكه وآماله وانجازاته ، بخاصة اذا كان شعب الاتحاد واحدا ، تربطه وشائج وثيقة راسخة ، من لغة وقوميةو ودين ومصير مشترك ، كشعب دولة الامارات العربية المحتدة الذي يرتبط بكل تلك الوشائج مع الوطن العربي ومع الامة العربية الواحدة .

هذه نظرات عابرة ، في الدستور الموقت ، وثمة أفكار أخرى ونظرات تقتضي منا البحث والاستقصاء ، لا يتسع الامر لها الان ، وقد نعود اليها قريبا ، بعد أن نبحث كيان الدولة وتنظيماتها الادارية ، والافكار التي حددها وانطلق منها الدستور الموقت ، وما تحقق منها ، وبعد أن نرى مدى الانجازات التي حققها الاتحاد ، وما عليه أن يتابع مسيرته الرائدة .

ابراهيم حريب

مع الآداب العالمية

اللقاء الذي لاينسى

تشوي هيون

لقيت زعيم الثورة الكورية البارز ، الرفيق كيم ايل سونغ ، للمرة الاولى في شهر أيلول ١٩٣٣ ·

كنت أعمل آنذاك في منطقة ينغيل بصفة قائد سرية في جيش حرب العصابات المناهضة لليابان · تلقيت توجيها من الرفيق كيم ايل سونغ بالتأهب للعمل وبالهروع الى قاعدة حرب العصابات في وانغ تسونغ ، فغادرت قاصدا ذلك المكان ·

كنت قد التحقت بجيش حرب العصابات قبل ذلك بعام ونيف · ورغم انني كنت اكن له التقدير واتوق الى رؤيته من صميم قلبي ، فلم تتح لي فرصة لقائه · قدر لي الان وأخيرا أن أقابله شخصيا · بلغ بي الفرح لدى هذه الفكرة مبلغا دونه الوصف · ولم أكن أنا وحدي الذي استأثر بي الفرح ، بل كان مشتركا لدى جميع أعضاء سريتي الذاهبين بصحبتي ·

قطعنا الطريق بخطى سريعة لم نعتدها من قبل وبلغنا ماتشون في قاعدة حرب العصابات في شياو وانغ تشونغ · وأخذونا الى مقر القيادة حيث تواجد الرفيق كيم ايل سونغ ·

مضت أيام كثيرة منذ ذلك الزمان ، غير ان ما جرى آنذاك ما زال ماثلا في ذاكرتي ·

كان هناك بيت صغير مسقوف بالقش ، على تل يحتضن أحد جانبي واد هادىء يسمع فيه خرير جدول صاف ·

ذهب الرفيق الذي كان دليلي الى الباب وأخبر بقدومي · خرج لتوه عند ذلك مسؤول فتي حسن الطلعة ·

« مرحبا ، أيها الرفيق تشوي هيون ! » قالها وعلى محياه ابتسامة عريضة ، بينما هو ينزل الى الحديقة ويشد على يدي ·

أدركت في الحال انه الجنرال كيم ايل سونغ ، واستبد بي الانفعال · صحيح انه كان أول لقاء لي به ، غير انني لم أشعر قط بلقاء الرفيق كيم ايل سونغ للمرة الاولى ، نظرا لان شعورا من الاحترام نحوه كان يعمر نفسي منذ زمن طويل ·

أخبرته أنني ، حسب الامر ، قد وصلت الان مع سريتي ·

قال : « عافية لك انك قد أتيت · لقد انتظرت وصولك بفارغ الصبر · تعال ندخل الان ! »

دخل الرفيق كيم ايل سونغ الى الغرفة وهو يمسك بيدي · كانت غرفة متواضعة · في وسط الغرفة منضدة واطئة ، عليها بضعة كتب وخارطة منشورة ·

وبعدما جلسنا وجها لوجه ، تابع يقول : « ما أحسن انك قد أتيت لقد كنت أتوق الى لقائك منذ زمن طويل·· »

كان ترحابه قلبيا الى حد غمرني تماما ·

« ···عندما استدعيتك ، قصدت أن تشترك وحدتك بمعركة مركز محافظة تونغ نيونغ · ولكن مما يؤسف له حقا ان كلمتي لم تصلك في الوقت اللازم » ·

قال الرفيق كيم ايل سونغ انه كان قد عاد منذ ثلاثة أيام من المعركة المظفرة في مركز محافظة تونغ نيونغ · عندما سمعت هذا ، بلغت خيبتي مبلغا جعلني أشعر وكأن جسمي قد أصابه الضنى ·

كنت أشعر بشرف عال لدى التفكير بالاشتراك في معركة يقودها الرفيق كيم ايل سونغ شخصيا ، وقد أسرعت المسير يحدوني تصميم راسخ على أن أبلي البلاء الحسن في القتال • فعندما سمعته يقول الان ان المعركة قد انتهت، اعتراني الاسف حقا •

سألته ، والامل يعتمل في أعماق رأسي : « أليس لديك أي مخطط آخر للقيام باقتحام ما ؟ » •

أدرك الرفيق كيم ايل سونغ ببصيرته ما يدور في خلدي وقال : « رجاء ألا تشعر بخيبة كبيرة لهذا الامر • سوف تدور معارك عديدة في المستقبل أيضا وسوف تكون لنا فرص كثيرة نقاتل فيها مع بعضنا • تعال نتحدث الان عن الاعمال التي تنتظرنا » •

لما حدثني الرفيق كيم ايل سونغ على هذا النحو ، لم يكن في وسعي ان استرسل في الموضوع • وقد تبدد شعور الغم الذي كان قد استبد بي على درجات •

سألني الرفيق كيم ايل سونغ بالتفصيل عن نشاط وحدات حرب العصابات في منطقة ينغيل وعن الوضع المحلي • كان العديد من أسئلته مما لم يخطر ببالي من قبل • وقد كان على اطلاع تام على كل المسائل وقد رسم مخططا محددا لكل منها •

وبينما كنت استمع الى كلماته وأحدثه عن كل الامور التي كنت أفكر بها عميقا من قبل ، كنت أزداد انجذابا اليه ، متأثرا بشيمه الكريمة •

وبعد العشاء ، حدثني الرفيق كيل ايل سونغ لعدة ساعات كيف تم تنظيم معركة مركز محافظة تونغ نيونغ وخوضها ، وما هي أهميتها •

كان مركز محافظة تونغ نيونغ بلدة تقع على مقربة من خط الحدود الصينية السوفييتية ، وموضعا ذا أهمية من الوجهتين السياسية والعسكرية • وكان الامبرياليون اليابانيون في تلك الايام قد أقاموا منشآت عسكرية مختلفة ودعموا قواهم العسكرية في تلك المنطقة بقصد غزو الاتحاد السوفييتي • ولذا فقد كان من الاهمية السياسية والعسكرية بمكان عظيم أن تجري غارة على البلدة •

حدد الرفيق كيم ايل سونغ ابان خوض معركة مركز محافظة تونغ نيونغ ان الهدف الاستراتيجي الرئيسي هو تحقيق عملياتمشتركة واسعة النطاق مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان المبعثرة في أرجاء شرق منشوريا •

كان ثمة فيتلك الايام عدد كبير منالوحدات المناهضة لليابان (والتي كانت تدعى أحيانا جيش الانقاذ الوطني) في شمال شرق الصين ، خرجت بشعارات مناهضة لليابان عندما انهارت قوى أمير الحرب تشانغ هاك ليانغ على أثر غزو الامبريالية اليابانية لمنشوريا • كانت هذه الوحدات المناهضة لليابان في الجوهر قوى ذات نزعة قومية تدافع عن مصالح طبقة ملاك الارض وغيرها من الطبقات المالكة ، وكان وعيها السياسي بالغ الغموض • ولذا ،فعلى الرغم من انها كانت تدعي بانها تقاتل الامبريالية اليابانية ، فلم تكن تخوض نضالا نشيطا ، بل كانت مبعثرة ومتمركزة خصوصا في مناطق الغابات ، يمسك كل منها بأرضه الخاصة • ضللتها الدعاية الخبيثة التي كانت تطبخها الامبريالية اليابانية باستمرار ، فكان يبلغ بها الامر حد قتل الكوريين ، واصمة اياهم « عناصر موالين لليابان » أو شيوعيين ، مبدية بذلك نزعة عنهجية قومية خطيرة • وفوق هذا كله ، خرج العصبيون الاشرار بما فيهم كيم سونغ دوا وسونغ ايل بشعارات يسارية متطرفة في مناطق شمال شرق الصين متسببين بالتنافر القومي ما بين الشعبين الكوري والصيني ، ومزودين الوحدات المناهضة لليابان بذريعة للنظر الى الشيوعيين الكوريين نظرة العداء • كان الرفيق لي كوانغ شيوعيا أمينا قد نشط آنذاك قائدا لاحدى المفارز ، فقتلته وحدة تونك شانهاو المناهضة لليابان بشراسة •

في ذلك الوضع ، كانت مهمة بالغة الصعوبة ان يتم اقناع الوحدات المناهضة لليابان وجرها الى القيام بعمليات مشتركة مع وحدات حرب عصاباتنا • كانت مهمة خطرة حقا لا بد أن يجازف المرء بحياته لكي يحققها ، مهمة صعبة وثقيلة لا يسع أحدا أن يواجهها خلا من يكون ثوريا ذا مهارة سياسية كبيرة وذو خلق عظيم • حتى ان بعضا منا كان من جراء ذلك غير راغب في العمليات المشتركة مع الوحدات المناهضة لليابان • غير ان الرفيق كيم ايل سونغ كان ينظر الى هذه المسألة بمنظور مختلف • فمع ان الوحدات المناهضة لليابان كانت تكره خوض عمليات مشتركة معنا بالنظر لضيق أفقها الطبقي ولتخلفها السياسي ، فقد كانت أهدافها مماثلة لاهدافنا من حيث أنها تقاتل الامبريالية اليابانية • وقد توقع الرفيق كيم ايل سونغ انها ، اذا هي أيقظت ادراك صحة نضال عصاباتنا المناهض لليابان والى الفائدة من النضالالمشترك معنا ، فمن المؤكد أنها سوف تحذو حذونا • ولذا فقد قام الرفيق كيم ايل سونغ ينظم ويقود بجرأة عملية كورية صينية مشتركة واسعة النطاق للمرة الاولى منذ تأسيس وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان •

قال الرفيق كيم ايل سونغ بهذا الصدد :

••• كان تحقيق عمليات مشتركة مع الوحدات المناهضة لليابان أمرا من الصعوبة بمكان طبعا • غير انه كان مهمة ثورية لا بد من حلها على أية حال ومسألة يمكن

حلها . ولذا ، فبعدما ناقشنا بعناية كل ما تنطوي عليه ، تقرر أن أذهب أنا بالذات . ذهبت بصحبة نيف و ٥٠ رجلا الى وحدة وو أي سونغ وشرحت على نحو شاخص أهداف نضالنا والمغزى العظيم من الجبهة المتحدة . كانوا يهزون رؤوسهم متشككين في البداية غير انهم اقتنعوا في النهاية بصحة اقتراحنا . هكذا نجحنا أخيرا باقناعهم وبتحقيق العمليات المشتركة كما أردناها ...

والواقع انه لم يكن ثمة أحد انذاك في شرق الصين ما عدا الرفيق كيم ايل سونغ ، يتمتع بذلك القدر العالي من الثقة السياسية والوقار الشخصي ومن الكفاءة البارزة الذي يتمكن من اقناع الوحدات المناهضة لليابان بالاشتراك معنا في النضال . وبذلك ، فقد كان هو الوحيد الذي يستطيع أن يؤدي هذه المهمة الصعبة أداء رائعا وهو يجازف بشخصه .

وبالنتيجة فقد اشتركت وحدات مناهضة لليابان قوامها أكثر من ١٠٠٠ رجل ، منها وحدات وو اي سونغ ، وقائد الكتيبة سا ، والقائد تشاي ، في عملية مشتركة مع وحدات حرب عصاباتنا المناهضة لليابان بقيادة الرفيق كيم ايل سونغ الموحدة . هكذا تم البرهان على ما تحققه الجبهة المتحدة ضد اليابان من قوة عظيمة ، وتم انزال ضربة قاسية بالأوغاد الامبرياليين اليابانيين من الوجهات العسكرية والسياسية والمعنوية .

لا يمكن القول طبعا أنهم أبلوا بلاء حسنا في القتال منذ البداية . فبعض رجال الوحدات المناهضة لليابان كانوا يلوذون بالفرار لمجرد رؤية كومة من الحصيد . في ذلك الوضع ، كان مقاتلونا يقفون في الصف الامامي من المعركة ، ويسلكون سلوك القدوة ببسالتهم في القتال ، ملهمين جنود الوحدات المناهضة لليابان بالشجاعة . وعلاوة على هذا ، فعندما جرح قائد الكتيبة سا والمعركة على أشدها برصاصة عدوة ، لم يأبه رجاله به ، بل لاذوا بالفرار ، غير أن الرفيق كيم ايل سونغ أنقذه من بين أشداق الموت .

بعدما شاهد رجال الوحدات المناهضة لليابان بأم العين فن القيادة البارع للرفيق كيم ايل سونغ ، وشجاعة رجال حرب العصابات وسماتهم القتالية والمعنوية السامية ، وبعدما خبروها بأنفسهم في الممارسة في مجرى هذه المعركة ، كونوا معرفة صحيحة عن وحدات حرب عصاباتنا المناهضة لليابان ، حتى أنهم صاروا يرون الشيوعيين خير فئة من الناس .

قال الرفيق كيم ايل سونغ ، في تحليل الاهمية الكبيرة للنصر الذي تم احرازه في معركة محافظة تونغ نيونغ :

... انه أمر ذو أهمية تفوق التقدير اننا استطعنا تحقيق الجبهة المتحدة مع الوحدات المناهضة لليابان ، في النضال لهزم عدونا المشترك ، المعتدي الامبريالي الياباني . غير ان هذا لا يكفي . يجب أن نوسع الجبهة المشتركة ونقويها ليس فقط مع الوحدات المناهضة لليابان ، ولكن مع الجماهير العريضة من الشعب الصيني أيضا . لايجوز أن ننسى أن هذا هو مفتاح هام للظفر في ثورتنا ...

تبعا لهذا الخط الواضح الذي وضعه الرفيق كيم ايل سونغ بشأن تقوية الجبهة المشتركة المناهضة لليابان ما بين الشعبين الكوري والصيني ، فقد لفت الانتباه الى تقوية أواصر النضال مع الشعب الصيني في مجرى نضال حرب العصابات المتمادية في السنوات اللاحقة .

وبالنتيجة ، فقد تم احراز نجاحات كبيرة ليس فقط في عملنا مع الوحدات المناهضة لليابان ، بل وأحيانا في العمل مع الفئات ذات الضمير من الجيش المنشوري العميل .

ولم يكن خط الجبهة المتحدة الذي استجلاه الرفيق كيم ايل سونغ آنذاك ليقتصر على الجبهة المشتركة المناهضة لليابان مع الشعب الصيني ، فقد علم أنه لا يمكن قط تحقيق الثورة الكورية بقوة نفر من الشيوعيين وحدهم ، وان ثمة قوى ثورية واسعة من العمال والفلاحين وفئات أخرى من الشعب ، قد نهضت في النضال ضد اليابان في الوطن وفي الخارج ، وأنه ينبغي توحيدها جميعا في منظمات ثورية واستنهاضها بمزيد من العزم الى النضال لسحق الامبريالية اليابانية ، وانه ينبغي خوض كفاح عنيد لهذه الغاية في الزمن الحاضر ضد أصحاب الشوفينية اليساريين ، وضد الاستسلاميين اليمينيين ، الذين قد تسللوا الى بعض صفوف الثورة ، حيث يسعى الاولون الى افشال الجبهة المتحدة ويسعى الاخيرون الى تفسيخ صفوفنا .

... ينبغي أن نشكل منظمات جماهيرية مختلفة ونوسعها ، ونعد العدة لتسرب منظمات الجبهة القومية المتحدة المناهضة لليابان في المستقبل على نطاق واسع حتى الى داخل كوريا . ومن الواضح تماما اننا اذا لم تكن لنا رؤية سياسية واسعة الافق ، واذا حسبنا أنه يمكن بلوغ الثورة الكورية خاتمتها المظفرة مباشرة دونما نضال واعداد بمثل هذا العزم ، فلا يكون هذا الا اضغاث أحلام ليس الا ...

نظر الرفيق كيم ايل سونغ الي بعينه الثاقبة ، وقالها لي بلهجة شديدة الجد .

عرض كل مسألة على جانب كبير من العزم ، وبطريقة ممتعة وساق الشواهد ، مما جعلني وكلي آذان تصغي اليه ، ولاحظ ان الليل قد ران علينا .

ذهبت الى الفراش مع دنو الفجر ٠ ولكن كل عبارة لفظها الرفيق كيم ايل سونغ كانت تطن في آذاني ، فلم أتمكن من الخلود الى النوم فورا ٠

وفي الصباح التالي ، ورد انذار من مركز الحراسة عن قدوم غارة معادية ٠ تبعت الرفيق كيم ايل سونغ متسلقا ذروة التل من الجهة الخلفية ٠ نشر الوحدة على المرتفع وأمر الرجال بانتظار العدو ٠

فكرت بأنني سوف أستطيع الان أن أخوض معركة بقيادته ، كما كنت أشتهي ، فشعرت بقلبي وقد غمره الفرح ، وأفعمته الثقة بالظفر ٠

كانت « قوى التأديب » المعادية ترتعد فرائصها خوفا ، فلم تجرؤ أن تقترب من المكان الذي انتظرناها فيه، بل أخذت تطلق النار لا على التعيين ولزمن طويل ، عند مدخل الوادي ٠ ثم راح العدو الجبان يضرم النار دون تمييز في أكوام الحصيد المكدسة في الحقول ٠

رقب الرفيق كيم ايل سونغ حركة العدو حتى ذلك الوقت ، فأعطى الاوامر الى المقاتلين أن يحصدوا جنود العدو عن آخرهم ، هؤلاء الذين أخذوا يضرمون النار في أكوام الحصيد على نحو مسعور ٠ ثم التفت ينظر الي وقال : « بالمناسبة أيها الرفيق تشوي هيون ، فقد سمعت الكثير عن حسن رمايتك على الهدف ٠ أرجو الآن أن ترينا مهارتك » ٠

كنت أطري نفسي عادة بأن أحدا لا يشق لي غبارا في مهارة الرمي ، أما في حضوره ، فلم أكن واثقا بالنجاح٠ هدأت من روعي ، وأمسكت البندقية التي كنت أصطحبها على الدوام وسددت الى أحد جنود العدو ٠ كان جنود العدو على بعد حوالي ٥٠٠ متر من التل الذي نقف عليه٠ كانت مسافة كبيرة نسبيا لا تسهل اصابة الهدف عنها ٠ غير انني سددت النظر بهدوء وشددت على الزناد ببطء ٠ سقط رجل من الاعداء ، كان يشرع مشعله عاليا بيده متوجها الى أحد أكوام الحصيد ، فتجندل على الارض ٠

قال الرفيق كيم ايل سونغ الذي كان يرقب الى جانبي : « انك رام ماهر حقا ، الآن دعني أجرب بعض الطلقات » ٠ أخذ عندها بندقية وأطلق أربع أو خمس طلقات بتوال سريع ، وقد أصاب في كل منها ٠ رأى رجال حرب العصابات ذلك ، فتعالى هتافهم وأمطروا العدو وابلا من الرصاص حاميا وكثيفا ، وراحت « قوى التأديب » المعادية ، التي كانت تقاوم عن بعد كبير ، تولي الادبار ثم تلوذ بالفرار في النهاية ٠

وفي مساء ذلك النهار ، تابع الرفيق كيم ايل سونغ التحدث الي أيضا ٠ قال في البداية :

« تواجهنا الآن مهمات ثورية عديدة ، ما هي في رأيك ، أيها الرفيق تشوي هيون ، المسألة الاكثر مركزية في نضالنا اليوم ؟ لنتحدث دون تحفظ » ٠

الحقيقة أنني كنت مجرد متحفز للاستماع اليه ، ولم يكن لي رأي متكامل من عندي ٠ والصراحة أنني كنت مقصرا في دراسة الشؤون العسكرية في ذلك الوقت ٠ ومن باب أولى ما يخص المسائل الشاخصة في الثورة الكورية ٠

قلت له ما كنت أفكر به دائما :

« في رأيي أن المهمة الاكثر الحاحا هي تقوية وحدات حرب عصاباتنا ٠ أعتقد أن من الضروري توسيع صفوف وحدات حرب العصابات ، وتنظيم الوحدات الكبيرة في أقرب وقت ممكن ، وضرب اللصوص الامبرياليين اليابانيين ضربا مبرحا ، واجتياز الحدود الى داخل وطننا » ٠

كان هذا ما أفكر به حقا ٠

قال الرفيق كيم ايل سونغ مؤيدا رأيي : « معك حق هذا هو تفكيري أيضا ٠ فبدون توسيع النضال المسلح وتعزيزه عن طريق جمع شمل القوى الثورية كافة ، لا نستطيع تحقيق غاياتنا العادلة ورسالتنا » ٠

تحدث عن المسائل المتعلقة ببناء وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان ، وحلل بوضوح طابعه المميز وطبيعته الحقيقية ٠ لا أذكر كل ما سمعته في ذلك الوقت ، ولكنني أعتقد أنه دار بصورة عامة على الوجه التالي :

ينبغي أن تغدو وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان قوة مسلحة شعبية حقيقية تقاتل المعتدين الامبرياليين اليابانيين وخدامهم ، في سبيل استقلال وطننا وتحرره ٠

ان رغبتنا الملحة نحن الشعب الكوري هي ابادة اللصوص الامبرياليين اليابانيين في أقرب وقت ممكن ، ونيل حرية وطننا واستقلاله ٠ ولذا ينبغي لوحدات حرب العصابات المناهضة لليابان أن تنشر النضال المسلح على نطاق متزايد الاتساع، بتجنيد القوى الثورية التي تعارض الامبريالية اليابانية ، مما ينقل رغبة الشعب الكوري الملحة الى حيز التحقيق ٠ ولكن لا يجوز أن نقف عند هذا٠

فاننا نتخذ نحن الشيوعيين هدفا لا نحيد عنه في انهاء كل صنوف الاضطهاد الطبقي في كوريا ، وتحرير العمال والفلاحين من نير الاستغلال ، وبناء وطننا في يوم ما الى مجتمع سعيد خلو من الاستغلال ٠

يجب أن تغدو وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان جيشا ماركسيا لينينيا تكون رسالته الاساسية التي

لا يحيد عنها هي تنفيذ هذه المهمة . اننا نقاتل في سبيل تحقيق هذا الهدف العادل ، فرغم أننا حاليا قوة صغيرة ، سوف ننمو ويشتد ساعدنا حتى نغدو جيشا ثوريا دائم الظفر قبل مضي وقت طويل ، بتأييد ومساعدة مطلقتين من لدن الشعب .

ان الجيوش التي كانت ناشطة في الماضي ، مثل جيش المتطوعين الوطنيين وجيش الاستقلال ، يقال انها قاتلت هي أيضا من أجل استقلال كوريا . ولكنها لم تكن في الجوهر الا جيوشا ذات نزعة قومية ، تمثل مصالح طبقة ملاك الارض وغيرها من الطبقات المالكة . ولذا فلم يكن بوسع نضالها أن ينال تأييد الشعب ، ولا أن يصمد في النهاية في وجه هجوم الامبريالية اليابانية الشرير .

ان وحدات حرب عصاباتنا المناهضة لليابان تختلف من حيث الجوهر عن ذلك الصنف من الجيوش ذات النزعة القومية ، ليس فقط من حيث رسالته ، بل ومن حيث تركيبه أيضا .

ما هو تركيب وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان ؟

ان وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان منظمة من خيرة أبناء وبنات العمال والفلاحين الذين يقفون على أهبة الاستعداد والتصميم حتى لبذل نفوسهم دون تردد في النضال ضد الامبريالية اليابانية وخدامها .

انهم أناس فقدوا بيوتهم وأراضيهم ، وقد جرى قتل آبائهم وأزواجهم وأولادهم ، في كنف الاضطهاد والنهب الذي تمارسه الامبريالية اليابانية وخدامها ، انهم أناس حرموا من كل حرية سياسية . صدورهم طافحة بالتصميم اللاهب على طرد اللصوص الامبرياليين اليابانيين من أرضنا مهما كلف الثمن .

ان وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان يقودها الشيوعيون الذين يحوزون الاستراتيجية والتاكتيك الماركسيين اللينينيين .

ولكن هل يمكن أن يشتد ساعد وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان من تلقاء ذاتها لمجرد أن لهذه القوة المسلحة هدفا عادلا في النضال ، وانها تتألف من حيث الاساس من العمال ومن الفلاحين الفقراء ؟ كلا .

فلبناء صرح وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان ، ينبغي أن نستولي على السلاح من العدو في خضم معارك قاسية نبيد فيها المحتلين الامبرياليين اليابانيين ، وأن نسلح أنفسنا في المستقبل بمزيد من المتانة . وبخلاف الزمن الذي كان علينا فيه أن نواجه العدو بأيد عزلاء لانتزاع السلاح منه فاننا نستطيع الان أن نستولي على السلاح بسهولة أعظم كثيرا وبكمية كبيرة كل مرة . فلدينا الآن كمية كبيرة من السلاح حصلنا عليها لقاء دم رفاقنا ، كما لدينا قنابل صنعناها بأنفسنا .

اعتمادا على هذه المكنونات ، يجب أن نستولي على مزيد من السلاح من أيدي العدو ، ونبني صرح قدرتنا القتالية بالسلاح الذي نستولي عليه . لهذا كله ، فمن المفهوم أننا لا نستطيع أن نتسلح قدر الامبرياليين اليابانيين . ولكن حتى لو كان تسليحنا غير واف فان لدينا القدرة التامة على كسب المعركة مع الامبرياليين اليابانيين اذا كان كل مقاتل في وحدات حرب العصابات مفعما بارادة قتالية فولاذية ، على أن ينذر نفسه كلية الى النضال لقهر الامبرالية اليابانية ونيل استقلال الوطن وتحرره .

وفي خضم النضال المسلح ، ينبغي أن ندأب على توسيع صفوفنا بمواصلة تمثل المتطوعين الجدد . لدينا في قواعد حرب العصابات عدد غير قليل من الشباب الذين قد صقلتهم المعارك مع العدو وعجمت عودهم . ينبغي تجنيدهم في وحدات حرب العصابات وتعهدهم حتى يصيروا مقاتلين ثوريين جيدين . وهناك العديد من عمال المناجم والمخاشب في المناطق التي تقع في نطاق نشاط حرب عصاباتنا . انهم يؤلفون ينبوعا رئيسيا لدينا لتوسيع صفوف حرب العصابات .

ينبغي قبول أولئك الرفاق العمال المحنكين من الوجهة السياسية في وحدات حرب العصابات بأعداد كبيرة بواسطة المنظمات الثورية .

(عند هذه النقطة ، ذكر الرفيق كيم ايل سونغ أن عددا غير قليل من العمال قد انضم الى وحدات حرب العصابات ، من منجم الذهب في بال توغو ومن منجم رو دو غو الواقعين في المنطقة التي كنت أعمل فيها وقد وجهني أن أواصل انتقاء مقاتلي حرب العصابات من بين العمال في هذين المنجمين لارسالهم الى وحدات حرب العصابات في المستقبل) .

وبدون تسليح رجال حرب العصابات تسليحا ثابتا بالافكار الشيوعية ، لا يمكننا الخروج ظافرين من النضال المسلح المتمادي والعسير ضد اليابان . ولذا فمن الضروري أن نقوي التربية الفكرية لرجال حرب العصابات ، مع تشديد تدريبهم العسكري .

وعلاوة على هذا ، فليس رجال حرب العصابات مجرد جنود يقاتلون العدو ، بل ينبغي أن يصبحوا دعاة يربون الشعب ويحرضونه ، ومنظمين يقومون بتنظيم الشعب وتعبئته فعلى كل ملاكات العسكريين ، اذا كانوا يحسنون قيادة المعركة ، أن يعيروا اهتماما لا يقل عن هذا لتربية رجالهم سياسيا وان يسلحوا أنفسهم بالفكر الماركسي اللينيني ...

استجلى الرفيق كيم ايل سونغ بعض المسائل المبدئية ذات العلاقة ببناء وحدات حرب العصابات ، فقال بوجوب توسيع وحدات حرب العصابات الفتية المناهضة لليابان وتقويته سريعا من حيث العدد والجودة ، وتطويره في مستقبل غير بعيد ليغدو الجيش الثوري للشعب الكوري ذي البأس العسكري القوي . ثم قال في هذا الصدد :

يجب علينا أن نوسع النضال المسلح ضد اليابان ونقويه في الارجاء الفسيحة من منشوريا ، فنراكم قوتنا تدريجيا ، ونستعد للتقدم الى منطقة الحدود الكورية حول جبل بايكدوسان ، ثم الى داخل كوريا في المستقبل وليس الا عند ذلك نستطيع تحقيق تحرر الوطن واستقلاله ...

وبينما كان يبوح بهذه الكلمات التمعت عيناه بوميض من الايمان لا يتزعزع ومن العاطفة الثورية الجياشة .

... ان أردنا أن نحقق قضيتنا في تحرر الوطن واستقلاله لا بد أن يكون لنا حزب ماركسي لينيني . كما أن نضالنا الثوري لن ينتهي بتحقيق تحرر الوطن واستقلاله . بل ان موقفنا الذي نواظب عليه ، هو تحويل بلدنا الى دولة اشتراكية ، مثل الاتحاد السوفييتي في المستقبل . فكيف نتوقع مواجهة هذه المهمة بعيدة المدى بدون هيئة أركان عامة للثورة ؟ ان الحزب هو النجم الهادي لمظافرنا كلها . ولذا فان المهمة الاكثر الحاحا وأساسية التي تواجهنا نحن الشيوعيين الكوريين هي تأسيس حزب ماركسي لينيني . ومع ذلك ، فمن البديهي أنه يستحيل أن نعرض تأسيس الحزب فورا في ظروفنا ، كما يلح بعض العصبيين على ذلك . فاذا حسبنا ان تأسيس الحزب فورا هو أمر ممكن بدون أي استعداد وأية مراكمة للقوى الثورية ، لن يكون هذا الا اضغاث أحلام ، شأنه شأن اقتراح اقامة بيت في الهواء .

ولذا فمن الضروري أن نرسي الاسس التنظيمية والفكرية خطوة اثر خطوة بأقصى ما أوتينا من العناية والعزم ، في سبيل تأسيس الحزب ...

ثم استطرد الرفيق كيم ايل سونغ في شرح بعض المسائل المتعلقة بخط تأسيس الحزب . كانت الخطوط العريضة لشرحه كالتالي :

... ان الامر الاهم في الاعداد لتأسيس الحزب هو تدريب صفوف الشيوعيين وتوسيعها من خلال النضال المسلح ضد اليابان . ان الشيوعيين المجربين الذين امتحنهم النضال العملي سوف يؤدون دائما وفي كل مكان دور النواة في خوض ثورتنا فاذا ما جمعنا شمل الجماهير الثورية ، وثيقا حول هذا العمود الفقري من الشيوعيين ، استطعنا تأسيس حزب ماركسي لينيني وتنفيذ المهام الثورية المعقدة المقبلة على نحو صائب ومهما بلغت الصعاب .

ولذا فلا بد لنا من توسيع صفوفنا الثورية وتقويتها باستمرار في مجرى النضال المسلح المناهض لليابان ، ومن تربية الشيوعيين وتدريبهم في خضم المعارك ضد العدو .

ومن جهة أخرى ، فهناك منظمات حزبية للشيوعيين الكوريين في المناطق التي يقطنها الكوريون من أرجاء شمال شرق الصين كلها ، وينبغي المضي في توسيع هذه المنظمات وتقويتها ، وفي تشديد تدريب أعضاء الحزب وتثقيفهم سياسيا .

وفي هذه الاثناء ، ينبغي جعل هذه المنظمات تتغلغل عميقا في أرض الوطن لكي توحد في كنفها الشيوعيين الموجودين داخل البلاد ، مما يوسع صفوفنا .

غير اننا لا يمكن أن نكتفي في الظروف الحاضرة بتدريب الشيوعيين فقط في الصفوف المسلحة المناهضة لليابان و في المنظمات الشيوعية ، يجب أن نتمسك بخط تشكيل جبهة متحدة مناهضة لليابان ، وجمع شمل القوى الثورية العريضة داخل الوطن وخارجه ، في شتى المنظمات الثورية المناهضة لليابان ينبغي لنا على هذا النحو أن نشربهم أولا بالافكار المتينة ضد اليابان ونوقظ وعيهم الثوري ، وأن نتدرج في انتقاء العناصر التقدميين من بينهم وتجنيدهم في صفوف حرب العصابات أو المنظمات الثورية وفي تربيتهم حتى يصبحوا شيوعيين .

كما انه من الاهمية بمكان عظيم لدى تأسيس الحزب ، ان تجري مكافحة الافكار غير السليمة ، كالعصبية والانتهازية ، مكافحة لا رحمة فيها في الصفوف الشيوعية ، وأن تتم صيانة النقاء التنظيمي والفكري في الصفوف الثورية . ولا يجوز لنا أن ننسى على وجه الخصوص الدرس المرير الذي مفاده أن العصبيين قد تسببوا مرة

للحركة الشيوعية بأذى يفوق التقدير من جراء نزاعهم العصبي • فحتى الآن ما زال بعضهم يندس في الصفوف الثورية ، يدق الاسافين بين الرفاق تحت شعار « مكافحة مين زانك دان » ، ويسعى الى تفسيخ صفوف الشيوعيين الكوريين من الداخل عن طريق نشر مختلف النزعات اليمينية واليسارية •

ولذا فعلينا أن نشن كفاحا لا هوادة فيه ضد هذا النفر ، فلا ندع مجالا لأي نشاط عصبي أو فكري مناوىء داخل المنظمات الحزبية والصفوف الثورية •

على كل شيوعي أن يتعلم الماركسية اللينينية ويفهم جوهر مبادئها • وعليه أن يكتسب الطريقة والسلوك اللذين مفادهما حسن تطبيق النظرية الماركسية اللينينية التي تعلمها على وضعنا الثوري الراهن على وجه مناسب، ولا يمكن بدون ذلك أن نكون راسخي الايمان ، ولا أن نختار الخط الصحيح في خوض ثورتنا المعقدة العريضة ••

فحتى منذ ذلك الزمان ، كان الرفيق كيم ايل سونغ ذا نظرة بعيدة في الثورة الكورية ، وقد رسم خط تأسيس الحزب ونظم الكفاح وقاده لتحقيقه •

كما أفصح عن فكرة نيل استقلال الوطن ، وبناء المجتمع الاشتراكي والشيوعي في المستقبل • وهذا ما قاله:

••• كم يكون لنا من الفخار والسعادة اذا نحن بنينا صرح مجتمع خالص من الاضطهاد والاستغلال على أرض وطننا ، بجبالها الجميلة وأنهارها الصافية ، واذا نحن أستنطبنا مواردها الوفيرة بقوانا الذاتية ، واذا صار كل شعبنا ينعم بحياة حرة رغيدة ! هنا يقوم الهدف النهائي الذي نناضل من أجله الآن ، دافعين دمائنا ثمنا له •••

أطرق الرفيق كيم ايل سونغ كما كان يتصور المستقبل البعيد • ثم قال بعد هنيهة :

••• ليس هذا من قبيل الخيال • ان مثلنا الاعلى نحن الشيوعيين ، له مبرراته العلمية ، ولذا فليس هناك أدنى شك في أنه سوف ينقلب الى حقيقة بالتأكيد •••

كنت أستمع الى كلامه طافحا بالثقة ، وكأني أتطلع بعيدا الى الامام في المستقبل البهي ، وغمرني من جديد شعور الفخار والفرح أن أكون جنديه الثوري •

وفي هذه الليلة أيضا تبادلنا أطراف الحديث حتى كاد الفجر يدركنا •

وفي الصباح التالي كان علي أن أفارق الرفيق كيم ايل سونغ • وبعد أن فسر لي مرة أخرى مختلف مسائل نضال حرب العصابات ، سلمني أربع بنادق من نمط « داتايكال » (وهي ذات عيار كبير ، وصوت يصم الآذان) ، قال لي أن نستخدمها في محارس قاعدة حرب العصابات •

تمنيت له السلامة وكنت على وشك المغادرة ، عندما استوقفني بقوله : « لحظة أرجوك » ، بحث عن شيء في جيوب سترته وسرواله ، ثم أخرج حامل دخينة مصنوع من حجر الكهرمان وقدمه لي هدية قائلا : « أرجو أن تتقبل هذا احتفاء بلقائنا ، أنه شيء لا يحرز » • شعرت وأنا آخذه وأمسكه بيدي ، حرارة وعاطفة تتدفقان في نفسي •

عدت الى قاعدة حرب العصابات في ينغيل ، عميق الانطباع بأول لقاء لي لا ينسى بالرفيق كيم ايل سونغ •

وفي السنوات التالية من النضال العسير ، كنت أصطحب حامل الدخينة معي على الدوام ، وأحفظه على صدري ، وكلما كنت أصطدم بصعوبة ما ، كنت أخرجه وأنظر اليه ، متذكرا لقائي الاول المؤثر بالرفيق كيم ايل سونغ •

ومع أنه مجرد حامل دخينة صغير ، فقد غدا رفيقا حميما لي ، يلهمني بالقوة والشجاعة • (أن حامل الدخينة الثمين معروض حاليا في متحف الثورة الكورية) •

لقد تطلع زعيمنا المحترم والمحبوب الرفيق كيم ايل سونغ ببصيرة ماركسية لينينية الى آفاق الثورة ، بصفته الزعيم البارز للثورة الكورية ، منذ انطلاقة نضال حرب العصابات ضد اليابان، وقد رسم الخطوط الثورية الواضحة المميزة •

وقد كانت قيادته الممتازة دائما بمثابة راية نضالنا، وكان السبيل الذي أشار اليه هو السبيل المؤدي الى الظفر والمجد •

ورغم ان لقائي بالرفيق كيم ايل سونغ لم يتجاوز اليومين ، فقد كان أكثر أهمية لي وأغلى ثمنا من المكوث سنوات للدراسة في جامعة ماركسية لينينية •

ومنذ تلك الايام ، حفظت تعاليمه دائما في ذهني وقطعت بلا كلل طريق النضال الثوري العسير ، وأنا أجل في أعماق قلبي الشرف والفخار الذي هو لنا لأن زعيمنا هو الرفيق كيم ايل سونغ العبقري •